جامعـــــة محمـــــد خيضـــــر بسكـــــرة
كليـــة العلوم الإنسانيـــة – قطب شتمة-
قسم العلوم الانسانية
شعبة التاريخ

عنوان المذكرة

العلاقة بين جمعية العلماء المسلمين و الطرق الصوفية(1925-1954م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ المعاصر

إعداد الطالب:
✍ نوار خرخاشي نبيل

إشراف الأستاذ:
* العماري الطيب

السنة الجامعـــــية: 2013/2012

بسم الله الرحمان الرحيم

مقدمة

لقد تردت أوضاع الجزائر إبان حقبة الاحتلال الفرنسي الى درجة دنيا من الانحطاط الديني و الفكري و الاجتماعي و أوشكت مقومات الشعب الجزائري على الفناء بسبب رواسب التخلف و الجمود ،و بفعل سياسة المسخ الاستعماري لمقومات الشخصية الجزائرية و التي عملت على محاولة القضاء على الدين الإسلامي و على أماتت اللغة العربية و على تشويه التاريخ الجزائري و تجهيل المجتمع و تفقيره و تفكيكه.

وفي هذه الظروف كان ظهور الحركة الإصلاحية و التي يقودها جلة من العلماء المسلمين الجزائريين و المتمثلة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فقد كان ظهورها في فترة عصيبة من تاريخ الأمة و استجابة موفقة لحاجات الدين في المجتمع الجزائري ،و تحديا صارخا للوجود الاستعماري ،إذ كانت أكثر الحركات الوطنية وعيا بخطورة الوضع و تحملت أعباء الصلاح الشامل لأوضاع الجزائريين و عملت على إيجاد نهضة علمية و أدبية و دينية تشمل جميع مقومات الأمة الجزائرية تمهيدا لتحريرها من الوجود الاستعماري.

كذلك من أهم أهداف الجمعية هو محاولة تصفية الموروث الثقافي السلبي خاصة تلك الانحرافات المتولدة عن الفكر الصوفي ألطرقي الذي كان يسيطر على مجالات المجتمع الجزائري و استسلام زعماء و شيوخ بعض الطرق الصوفية للإدارة الفرنسية بعد أن توفي مؤسسوها،فخدموها و تعاونوا معها قصد الحصول على الجاه أو المال أو السلطة و النفوذ ،وهذه الأسباب بدأت علاقة التصادم و الصراع بين الجمعية و الطرق الصوفية المتمردة على اعتبار أن كل اتجاه يرى انه الأصح و انه على الطريق الصواب و من هنا تبرز إشكالية بحثنا:

فما هي طبيعة الصراع بين الجمعية و الطرق الصوفية ؟و كيف كانت نظرة كل اتجاه للأخر؟و ما هو دور الجمعية في محاربة الانحرافات الطرقية؟

و للإجابة عن هذه الإشكالية قسمنا بحثنا الى ثلاث فصول و كل فصل الى مبحثين و في كل مبحث ثلاث مطالب أما الفصل الأول فهو تحت عنوان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و انطوى تحته المبحث الأول بعنوان ميلاد جمعية العلماء و يندرج تحته المطلب الأول بعنوان العوامل المساعدة على نشأة الجمعية و قسمناها عوامل داخلية في شتى المجالات السياسية و الاجتماعية و الثقافية و الدينية ،و عوامل خارجية و جميع المجالات ،أما المطلب الثاني فيتحدث عن ميلاد الجمعية بدءا من البذور الأولى لنشاتها بعد الحرب العالمية الأولى و الى الاجتماعات التي كانت تقام بنادي الترقي أما المطلب الثالث فيتناول أهداف الجمعية و برامجها و تناول هذا الجزء أهداف الجمعية الإصلاحية في شتى الميادين و البرامج التي سطرتها الجمعية بغية تحقيق أهدافها التي سطرتها.

أما المبحث الثاني فيتضمن تنظيمات و أعمال الجمعية و يندرج تحته فصل أول يتكلم عن تنظيماتها و وسائلها الدعائية من مدارس و مساجد و النوادي و الصحافة أما المطلب الثاني أعمال الجمعية في ميدان التربية و التعليم ،و المطلب الثالث يتكلم عن موقف السلطات الفرنسية من نشاط الجمعية خاصة تلك العراقيل و الصعوبات التي دبرتها فرنسا من اجل عرقلة نشاط الجمعية أو حتى القضاء عليها أن استطاعت.

أما الفصل الثاني فيتناول الطرق الصوفية و يندرج تحته المبحث الأول بعنوان لمحة تاريخية عن التصوف و انتشاره في الجزائر و تحته المطلب الأول الذي يعالج مفاهيم عامة حول التصوف و الذي يعرف التصوف وكذلك الطريقة الصوفية ،الزاوية ،الرابطون أما المطلب الثاني فيدرس نشأة التصوف

و كيفية انتقاله من المشرق الى المغرب أما المطلب الثالث فيدرس عوامل نفوذ الطرق الصوفية في الجزائر سواء السياسية أو الاجتماعية أو الثقافية أو الدينية.

و المبحث الثاني تحت عنوان دور الطرق الصوفية و موقفها من الاستعمار و تحته المطلب الأول يدرس أهم الطرق الصوفية المنتشرة في الجزائرية ،الشاذلية ،القادرية ،الرحمانية...........أما المطلب الثاني يتناول موقف الطرق الصوفية من الاستعمار و تبيان أهم الثورات الشعبية التي قادها طرقيون و شيوخ زوايا و سياسة فرنسا التسلطية من اجل القضاء على هذه الثورات أما المطلب الثالث فعالج تقييم دور الطرق الصوفية و ذلك بتبيان ايجابيات و سلبيات الطرق الصوفية في جميع المجالات. أما الفصل الثالث فهو تحت عنوان : دور الجمعية في محاربة الانحرافات الطرقية ، و يندرج تحته المبحث الأول مظاهر الخلاف بين جمعية العلماء و الطرقية ، و تحته المطلب الأول بعنوان :محاولة اغتيال الشيخ عبد الحميد بن باديس و نتحدث هنا عن تلك المؤامرة الدينية التي قام بها احد الطرقيين والتي كادت تؤدي بحياة الشيخ لولا عناية الله و حفظه أما المطلب الثاني بعنوان :نقد معتقدات الطرق الصوفية وفيه نعالج نقد الجمعية للتنظيم الهيكلي للطريقة كذلك نقد المظاهر الاجتماعية الناشئة عن الطرقية و نقد النزعة الاستغلالية لدى مشايخ الطرقية أما المطلب الثالث بعنوان : جمعية علماء السنة التي انشاتها بعض الطرق الصوفية لغرض التشويش على مسار و إصلاحات جمعية العلماء المسلمين . أما المبحث الثاني عنوانه نتائج جهود جمعية العلماء في محاربة الانحرافات الطرقية و تحته الطلب الأول بعنوان تجديد العقيدة الإسلامية بإعادة إحياء الطقوس الإسلامية الصحيحة المستوحاة من القران و السنة اما المطلب الثاني بعنوان تراجع المد الطرقي حيث ساعدت و عملت الجمعية على الحد من المد الطرقي الفاسد و التصدي للانحرافات الطرقية ، أما و المطلب الثالث فعنوانه إحياء الوظيفة الاجتماعية من خلال تحسين العلاقات الاجتماعية و محاربة التفرقة الاجتماعية

أما في الخاتمة فنلمح إلى خلاصة عامة عن مجهودات الجمعية ،كذلك نلمح إلى بعض المظاهر التوافقة بين الطرفين خاصة تلك الزيارات التي قام بها عبد الحميد بن باديس الى بعض الطرق الصوفية و زواياها .

و لقد كان اختيارنا لهذا الموضوع هو محاولة التعرف على طبيعة العلاقة بين الجمعية و الطرقية التي كان ينتابها الكثير من الصراع و التصادم و القليل من التفاهم كذلك لتبيين جهود جمعية العلماء المسلمين و دورها في إحياء المعالم الإسلامية الجزائرية و إماتة البدع و الخرافات .

و من بين الأسباب التي دفعتنا الى اختيار هذا الموضوع:

1-دافع ذاتي: يلم على إظهار بعض الانحرافات الفكرية و العقيدية التي تكرس بوعي أو بغير وعي .

2-رغبة علمية في دراسة الطرقية باعتبارها ظاهرة اجتماعية دينية خاصة و أنها متجدرة في مجتمعنا الجزائري و في ثقافته التقليدية .

3-المساهمة في التعريف بأعمال الحركة الإصلاحية الجزائرية و إعلامها ممثلة بشكل خاص في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

4-افتقار المكتبة الى دراسة متخصصة خاصة في الجانب التاريخي و على الأخص هذا الموضوع.

الدراسات السابقة :

من الدراسات التي اطلعت عليها :

- دراسة احمد حماني :صراع بين السنة و البدعة تناول هذا الكتاب في جزأين الحديث عن الحركة الإصلاحية الجزائرية ،وفيها القصة كاملة لحادثة السطو على الإمام عبد الحميد بن باديس من طرف

احد إتباع الطريقة العليوية سنة 1926م ،وفيه تتبع لضلالات هذه الطريقة في العقائد و فضح صلتها بالإدارة الفرنسية .

– علي مراد :الإصلاح الإسلامي في الجزائر (1925–1940).الكتاب من الدراسات الأساسية المعتمدة ،التي تناولت الحركة الإصلاحية في بعديها الديني و الاجتماعي .

–عبد الكريم بو الصفصاف :جمعية العلماء المسلمين و دورها في تطور الحركة الحركة الوطنية الجزائرية ،الكتابة دراسة لأعمال الجمعية في المحافظة على مقومات الشخصية الجزائرية خلال تتبع نشاطها في تنقية الدين الإسلامي من الانحرافات و محاربة الطرق الصوفية وإحياء اللغة العربية ،وإعادة الاتصال بالعالم العربي الإسلامي .

–عبد الكريم الصفصاف :جمعية العلماء المسلمين و علاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (1931–1945م)،الكتاب دراسة تاريخية مقارنة مع الاتجاهات و الحركات المعاصرة لها.

–احمد الخطيب:جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أثرها الإصلاحي في الجزائر، بحث يهدف إلى التعريف بأعلام الحركة الإصلاحية الجزائرية و نشاطها في المجالات الدينية و الثقافية و الاجتماعية و السياسية.

مناهج البحث: و للإجابة على كل التساؤلات و للإلمام بجوانب الموضوع تم إتباع

– المنهج التحليلي النقدي و ذلك بتحليل بعض الحقائق قدر الإمكان أو نقد بعض ما قيل فيها اعتمادا على المصادر الأخرى.

–المنهج الوصفي: في سرد الأحداث بطريقة وصفية تسلسليه وفقا لتسلسل الأحداث .

–المنهج الاستقرائي: و ذلك بدراسة استقراء بدايات الحوادث و تطوراتها و ما آلت إليه.

أهم الكتب المعتمد عليها:

قد اعتمدنا في هذا البحث على الجمعية ،ممثلة على الخصوص في آثار عبد الحميد بن باديس و محمد البشير الإبراهيمي و محمد بن مبارك الميلي إضافة إلى كتاب احمد حماني :صراع بين السنة و البدعة ،وكتب علي مواد ،و كتب عبد الكريم بو الصفصاف ،إضافة إلى مجموعة من كتب الصوفية .

صعوبات البحث:

فإذا تحدثنا عن صعوبات أي بحث فإننا لا نخرج من إطار تلك العراقيل التي تواجه أي صاحب بحث أكاديمي من تشتت المادة في المكتبات أو بعد المسافة بين مكتبة و أخرى ، أما عن أهم مشكل واجهنا في هذا البحث هو قلة المادة العلمية التي أردت بها تغطية هذا الموضوع ،و أن وجدت فإنها تعالج الموضوع بنوع من السطحية و التحفظ الواضح و الجلي خاصة في موضوعنا هذا.

إضافة الى ذلك طبيعة الموضوع في حد ذاته الذي يتميز بنوع من الحساسية .

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على جملة من المصادر و المراجع التي ساعدتنا على محاولة تغطية الموضوع ، أهمها جريدتي البصائر و الشهاب كذلك كتب أثار عبد الحميد بن باديس ، و أثار محمد البشير الإبراهيمي ، و أثار محمد مبارك الميلي، العربي التبسي ، الطيب ألعقبي،الى كتاب احمد حماني "الصراع السنة البدعة " و كتب أبو القاسم سعد الله و كتاب علي مراد" الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر إضافة الى كتب نصر الدين سعيدوني، عبد الكريم بوصفصاف ،احمد الخطيب، شارل أندري جوليان، حمدان بن عثمان خوجة، عبد الرحمان الجيلالي ، يحيى بوعزيز، إضافة الى بعض المذكرات الجامعية عن جمعية العلماء المسلمين و عن الطرق الصوفية .

الفصل الأول: ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، من أهم المؤسسات الوطنية في مرحلة المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي نظرا لما قامت به من مشاريع ثقافية، و دينية، و اجتماعية، و سياسية، لا سيما الدفاع عن الهوية الوطنية للشعب الجزائري .

و جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كانت و ما تزال تعيش بمددها الفكري، و الأخلاقي و التربوي في أذهان الجزائريين حتى ألان، وقد ظل موضوع جمعية العلماء يثير جدلا سياسيا، و تاريخيا مستمرا حتى يومنا هذا.

المبحث الأول: ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

المطلب الأول: العوامل المساعدة على نشأة جمعية العلماء المسلمين:

هناك جملة من العوامل ساعدت على شاه هذه الجمعية في الجزائر و يمكن تصنيفها الى قسمان رئيسيان هما:

القسم الأول:العوامل الداخلية:

و يشمل العوامل الجزائرية الداخلية التي يمكن حصرها في العوامل التالية:

– صدر قانون عن مجلس النواب الفرنسي عام 1845 م يقضي بتقسيم الجزائر إلى ثلاث عمالات (وهران، الجزائر ، قسنطينة) و جعلها ملحقة بالعمالات الفرنسية.

– محاولة الاستعمار الفرنسي القضاء على الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر. [1]

– سياسة الفرنسة و التجنيس التي أرادت دولة الاحتلال فرضها على الجزائريين ففي عام 1848 صدر قانون يؤكد أن الجزائر جزء من فرنسا.

– في عام 1849 م حدث جفاف عظيم بالجزائر ترتب عليه نقص كبير في محصول الغلال و أصبح المواطنون المسلمون في حالة يائسة و تفشت فيهم الأمراض و مات عدد كبير منهم و استغل هذه الظروف الكاردينار لافيجري و اخذ يطوف في البوادي من الشمال إلى الجنوب حاملا بيده اليمنى الصليب و بيده اليسرى الخبز و الدواء بغرض تحويل المسلمين عن دينهم و إدخالهم في الديانة المسيحية .

–عام 1900 م صدر قانون استولت بموجبه فرنسا على دور العبادة و على الممتلكات الموقوفة على الشؤون الدينية الإسلامية و ضمتها إلى أملاك الدولة الفرنسية. [2]

–في عام 1901 م صدر قانون في فرنسا يقضي بفصل الدين عن الدولة و طبق في فرنسا أما في الجزائر فلم يطبق على المسلمين بينما طبق على اليهود و المسيحيين و بذلك بقيت الشؤون الدينية للمسلمين في قبضة الدولة المستعمرة. [3]

– المحافظة على الشخصية الجزائرية التي أصبحت مهددة بالخطر من طرف الاستعمار و عملائه من الجزائريين من دعاة الفرنسة و الاندماج في فرنسا.

[1]- محمد البشير الإبراهيمي: اثأر الإمام البشير الإبراهيمي 1954-1956، جمع و تقديم نجله احمد طالب الإبراهيمي،ج 4 ، ط1،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1997،ص 166.

[2]-الزبير بن رحال: الإمام عد الحميد بن بأديس رائد النهضة العلمية و الفكرية: دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص 70.

[3]- ناهد إبراهيم دسوقة: دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر الحركة الوطنية (1918-1939)،مطبعة سامة، الإسكندرية، مصر،2001، ص 245.

–تأثير دروس الشيخ عبد الحميد بن باديس [1]التي كان يلقيها لعدة سنوات بالجامع الأخضر بقسنطينة في الدعوة إلى الإصلاح و نبذ البدع و مقاومة الخرافات و الجمود و تحرير الفكر الجزائري من سيطرتهما

–الصحافة العربية الإصلاحية في الجزائر و الدور الذي لعبته في تحضير الرأي العام في أوائل العشرينات منها: صحيفة الجزائر المنقذ، الشهاب لابن بأديس

–استمرار سياسة الدمج و الفرنسة التي ظهرت مع بعض المثقفين و المتفرنسين المتغربين الدين حاولوا سلخ الشعب الجزائري من هويته

–الطرق الصوفية و المرابطين المنحرفين الدين ابعدوا الدين الإسلامي عن أصوله الحقيقية و اهتموا باستغلال نفوس الفئة الجاهلة باستخدامها في إغراضها الخاصة و التي لا تخدم إلا الوجود الاستعماري[2] حيث أن القانون الأساسي للجمعية كما وضع أول مرة كان الذين وضعوه شطرهم من الطرقيين و لكنهم ما أكملوا السنة الأولى حتى فروا من الجمعية و ناصبوها العداء واستعانوا عليها بالظلمة ،ورموها بالعظائم و جلبوا عليها من كل ناحية بكل ما عندهم من كيد ،ذلك لأنهم وجدوا كثيرا من الآفات الاجتماعية التي تحاربها الجمعية هم مصدرها ،وهي مصدر عيشهم و وجدوا قسما منها مما تغضب محاربته سيادتهم و مواليهم ،وقد شاهدوا مضاهر الغضب بالفعل منهم فما رفضتهم الجمعية و أبعدتهم ،ولكنهم هم ابعدوا أنفسهم و كانوا و الجمعية كما قال لبشير الإبراهيمي :

وكنا سلكنا في صعود من الهوى فلما توافينا ثبت وزلت

وكنا عقدنا عقدة الوصل بيننا فلما تواثقنا شددت و حلت

<u>القسم الثاني :العوامل الخارجية:</u>

و هي عوامل إسلامية و عالمية يمكن إجمالها في النقاط التالية:

–اليقظة العامة التي دبت في إرجاء العالم الإسلامي و العربي و من بينها الجزائر نتيجة الاحتكاك بأوربا ثقافيا و سياسيا عسكريا ابتداء من النصف الثاني للقرن التاسع عشر

[1]- هو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن بأديس، ولد في ديسمبر 1889، من أسرة قسنطينية مشهورة بالعلم و المال ، تلقى تعليمه في قسنطينة، ثم أكمل تعليمه بجامع الزيتونة بتونس (1908-1911) ، و أحرز شهادة التطويع ، بدا دعوته الإصلاحية منذ 1913، معتمدا على الصحف ، تميزت شخصيته بالزهد كما كان يجد حلاوة في الصلاة و تلاوة القران إلى حد النشوة الحقيقية، كان مصلحا سياسيا دينيا كما كن كاتبا بارعا ذو باع طويل في فن الخطابة، تميز بمزاياه الخلقية و فضائله الفكرية، جعله بسرعة محطة أنظار إخوانه في الدين و اهتمامهم به ، كرس حياته لنهضة الإسلام الصحيح في وطنه و تأكيد الشخصية الإسلامية للجزائر، كما كان له الفضل في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي نادي من خلالها لإعادة الأمة الجزائرية و إصلاحها عام 1931.

[2]- رابح تركي: الشيخ عبد الحميد بن بأديس: رائد الإصلاح الإسلامي و التربية في الجزائر، ط5، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال النشر و الإشهار، 2001، ص199.

–المجلات و الجرائد العربية الشرقية التي كانت تتسرب إلى الجزائر حاملة معها الدعوة الإصلاحية السلفية التي ينادي بها جمال الدين الأفغاني و محمد عبده و إتباعهما مثل مجلة المنار و جريدة المؤيد جريدة اللواء و غيرهم من المجلات و الجرائد التي تهتم بفكرة التجديد الإسلامي[1]

–عودة بعض الجزائريين الذين درسوا في المشرق العربي مثل محمد البشير الإبراهيمي الطيب ألعقبي و العربي التبسي و كلهم عادوا إلى الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى

– اليقظة العامة التي دبت في الشعب الجزائري نتيجة الحرب العالمية الأولى و تتطلع الجزائريين إلى الإصلاح الشامل الذي ينهض بهم دنيا ثقافيا اجتماعيا سياسيا من الوضعية السيئة التي كانوا عليها قبل هده الحرب

– أثار الحرب العالمية الأولى إذ كان لها وقع فعال في تبلور الحركة الإصلاحية من خلال مشاركة بعض الجزائريين في الحرب و تأثرهم بأفكار جديدة كانت مجهولة لديهم مثل أفكار الحرية المساواة الاستقلال. [2]

– الأحزاب السياسية الأوروبية و شكلها التنظيمي و التأثير في نفسية علماء الإصلاح حيث يرى البعض ان جمعية العلماء قد اتخذت من هذه التنظيمات شكلها و هيكلها تحت ستار الدين. [3]

– هناك عوامل ترجع إلى أصول تونسية و مصرية مثل جامع الزيتونة الذي درس فيه بعض علماء الجمعية بذلك كان اثر الثقافة التونسية واضحا في الجمعية من خلال اثر أدباء تونس و الجمعية الخلدونية التي تأثر بها ابن بأديس. [4]

1- ناهد إبراهيم دسوقة: المرجع السابق،ص ص 246-247.

2- Ali Merad : le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940, mouton et Co Imprimerie Firmin-didot.-paris, 1967, p 122.

3- علي مراد: الحركة الإصلاحية الإسلامية ف الجزائر من 1925-1945، ترجمة محمد يحياتن،طبعة خاصة وزارة المجاهدين، دار الحكمة، ص 146.

4- ناهد إبراهيم دسوقة: المرجع السابق،ص 246.

المطلب الثاني: تأسيس جمعية العلماء المسلمين

جاءت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في أدق مرحلة عبرتها الجزائر و أتت في ظروف صعبة تتجسم في المشاريع الفرنسية و التي تلغي وجود الجزائر تاريخيا و واقعيا و فكريا، و قد أتت هذه الجمعية لتقيم توازنا على المستوى الثقافي و الحضاري و الذي يؤدي بدوره إلى توازن على المستوى السياسي. و خرجت هذه الجمعية إلى الوجود في الخامس من مايو عام 1931 و كان مركز نشاطها الأول نادي الترقي[1] بالجزائر العاصمة [2]

غير أن فكرة تأسيس الجمعية تعود إلى فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى حين فكر و عمل ابن بأديس،سنة 1924 على تأسيس جمعية تجمع شملهم أي اسم ، كما دعت إلى ذلك أيضا جريدة الشهاب ، و قد كانت ظروف تأسيس الجمعية مساعدة فقد قال البشير الإبراهيمي:

"بعد شعور الأمة بسوء الحال... و الشعور بالفساد هو أول مراحل الإصلاح[3]" و قال أيضا: " لو تأخر ظهور جمعية العلماء عشرين سنة أخرى، لما وجدنا في الجزائر من يسمع صوتنا"[4].

و على حد تعبير الإبراهيمي فان الوضع كان مزريا، مما حتم عليهم ضرورة التكتل للخروج منه، و قد جاء تأسيس الجمعية ردا على الاحتفالات المئوية التي أقامتها فرنسا في الجزائر في 05 جويلية 1930، ة التي دعت إليها رجال الدين الأوروبيين الذين عملوا على استفزاز مشاعر الجزائريين بإعادة استعراض القوات الفرنسية باز ياءها و أسلحتها التي دخلت بها إلى الجزائر سنة 1830، و قد دامت هذه الاحتفالات ستة أشهر:

كما جاء تأسيسها ردا على الادعاءات الاستعمارية بان عهد الإسلام قد انتهى وولى في الجزائر و أن الثقافة العربية الإسلامية قد اندثرت و لم يعد لها وجود و هذا ما بينته التصريحات المعلنة من قبل المسؤولين الفرنسيين حيث قالوا: " إن هذا الاحتفال أيضا لنصلي صلاة الجنازة على الإسلام و العربية في الجزائر فقد قبرناهما إلى الأبد و صارت الجزائر فرنسية في كل أشياءها .

1- نادي الترقي: هو عبارة عن مركز افتتح عام 1927 في الجزائر من طرف جماعة من أعيان و أغنياء الجزائر المسلمين كان الغرض من تأسيسه هو طرح و بحث و مناقشة الأوضاع التي أل إليها المجتمع الجزائري بين رواد النهضة و علمائها.

2- محمد طهاري: الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر، ط 1 ، دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2010، ص:11.

3- عبد الكريم بو الصفصاف: ج ع م ج و علاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931-1945، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، إشراف: توفيق برو، 1983، ص 99.

4- رابح تركي: الشيخ عبد الحميد ابن بأديس فلسفته و جهوده في التربية و التعليم(1900-1940)، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1969، ص 67.

كما كان لانتشار البدع و الخرافات بين صفوف العامة كالإيمان بالأولياء و الخرافات التي تشوه وجه الإسلام الصحيح بالإضافة إلى ظهور دعاة الإدماج و الفرنسية، خصوصا بن النخبة المثقفة الفرنسية، و هذا ما شجع العلماء على توسيع ميدان نشاطهم الإصلاحي(1).

و قد ضمت الجمعية بين صفوفها نخبة من علماء الجزائر المتجددين (2). و أثناء الاجتماع لم تلجا لا للاقتراع السري، و لا العلني في اختيار أعضاءها، بل عمدت إلى طريقة الاقتراح و ذلك بعرض أسماء معينة على الحاضرين و هم (3):

عبد الحميد بن بأديس ، محمد البشير الإبراهيمي ، الطيب ألعقبي، محمد الأمين العمودي ، مبارك ألميلي إبراهيم بيوض، المولود ألحافظي ، مولاي بن الشريف، الطيب المهاجي، السعيد اليجري ، حسن الطرابلسي، عبد القادر ألقاسمي، محمد الفضيل اليراتني.

و يقال أن الأستاذ عبد الحميد بن باديس و الحسن الطرابلسي لم يحضرا اجتمـــاع الهيئة الإدارية (4)التي انتخبت الأستاذ عبد الحميد بن باديس رئيسا بالإجماع غيابيا و الذي ظل يرأسها إلى غاية 1940 كما تم في هذه الجلسة وضع القانون الأساسي للجمعية و قاموا بترجمة نصه إلى عربية و إرساله إلى الإدارة الفرنسية للمصادقة علية و فعلا تمت المصادقة على القانون من طرف الإدارة بعد خمسة عشر يوم من طلب الاعتماد و ذلك لأنها كانت ترى أن ابن باديس لن يكون له تأثير سياسي و لن يتعدى عمله الإطار النظري ، كما أنها كانت تعتقد أن هذه الجمعية سوف تكون كباقي الجمعيات الأخرى التي تأسست قبلها، و أنها ستقوم باحتوائها ، و جعلها تعمل لصالح الإدارة الفرنسية ، مما سهل أيضا حصولها على الترخيص مناسبة الاحتفال المئوي و محاولة فرنسا التخفيف من اثر الملل الشعبي، بالإضافة إلى وجود شخصية فرنسية معتدلة هون" جان ميرانت " على رأس مديرية الشؤون الإسلامية(5) .

و قد حملت هذه الجمعية على عاتقها مهمة الإصلاح الديني و الاجتماعي، و محاربة أصحاب الزوايا، و الطرق الصوفية المتواطئين مع الاستعمار كما عملت على تكوين إطارات مثقفة ثقافة عربية إسلامية. (6)

1- عمار قليل: ملحمة الجزائر الجديدة، ج 1 ، ط 1، دار البحث قسنطينة، الجزائر ، 1991، ص139.
2- محمد زرمان: معالم الفكر السياسي و الاجتماعي عند الشيخ البشير الابراهمي، منشورات جامعة باتنة، الجزائر، ص 15.
3- عبد الكريم بو الصفصاف : المرجع السابق،ص 99.
4- عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون: الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرات معاصر الفترة الاولى1920-1936، ج 1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص84.
5- احمد الخطيب: ج ع م ج و أثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص ص112-113.
6- فرحات عباس: حرب الجزائر و ثورتها(ليل الاستعمار)، ترجمة أبو بكر رحال، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، ص 150.

و من اجل ذلك التوزيع أعضاؤها في مختلف أنحاء البلاد إذ شط ابن بأديس في قسنطينة و عمالتها ، بينما تولى الطيب ألعقبي مهمة الإصلاح في إقليم الجزائر أما الإبراهيمي فاستقر في عمالة وهران غير أن مركزه كان مدينة تلمسان، كما أنها أصدرت عدة جرائد منها السنة النبوية و الشريعة المحمدية و الصراط السوي ، و جريدة البصائر، أما الشهاب فقد كانت لصاحب امتيازها و مؤسسها الشيخ عبد الحميد بن بأديس و لكنها كانت تخصص مساحة معينة للجمعية، و كانت هذه الصحف تنشر أفكار العلماء و مبادئهم. (1)

[1]- صلاح العقاد: المغرب العربي (دراسة في تاريخه الحديث و أوضاعه المعاصرة)، الجزائر، تونس ، المغرب الأقصى، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة، ص 156.

المطلب الثالث: أهداف الجمعية و برامجها

اقترن اسم جمعية العلماء منذ نشأتها بإحياء تعاليم الإسلام الصحيح ما فسد من قيمة نتيجة للخرافات و البدع و الطرق الصوفية المنحرفة عن جادة الإسلام لذلك كان مبدؤها إصلاحي و تعليمي غايته تحرير الشعب الجزائري و ذلك عن طريق العقول و الأرواح و الذي يليه تحرير الأوطان و الشعوب لان الأول أصل للثاني. [1]

و من هنا تعددت أعمال الجمعية حيث تظاهر قادتها أنها جمعية تهذيبية، غايتها تهذيب المسلمين، و خلق جيل ذو ثقافة إسلامية. و هناك أراء كثيرة لها نفس القول فيما يخص أهداف الجمعية إذ يحصرها البعض في النشاط التعليمي العربي، و محاربة الخرافات و تنقية الإسلام مما علق به من الشوائب ، و قد لخص احد أعضاءها سنة 1935 أهدافها فيما يلي: "إحياء الإسلام بإحياء القران و السنة، و إحياء اللغة العربية و آدابها، و إحياء التاريخ الإسلامي ، و اثأر قادته.

و قد ذكر البشير الإبراهيمي أن جمعية العلماء جاءت لخدمة الإسلام بإصلاح عقائده، و توضيح ، و تفهيم حقائقه ، و إحياء آدابه، و تعمل لإحياء اللغة العربية و آدابها و تاريخها في موطن عربي، و تعمل لتوحيد كلمة المسلمين في الدين و الدنيا. [2]

بينما يربطها البعض الأخر بالنشاط السياسي، و معاداة الاستعمار و تكوين الدولة الجزائرية ذات القيم الإسلامية، و البعد العربي الأصيل. [3]

غير انه يمكن تلخيص أهداف الجمعية في هدفين رئيسيين هما: الأول الذي أجهرت به الجمعية و يتمثل في تنقية الإسلام مما علق به من شوائب و المحافظة على مقومات الشخصية الوطنية ، و ذلك بإحياء اللغة العربية و التاريخ القومي و الإسلامي، إضافة إلى بناء المدارس و المساجد و محاربة الآفات الاجتماعية .

و قد ذكر في هذا الصدد الشيخ محمد خير الدين عام 1935 بقوله: إن أهداف الجمعية تتمثل في إحياء: " إحياء الإسلام الصحيح بإحياء الكتاب و السنة، و نشرها بين الناس حتى يرجع لهما"

---

[1]- الفضيل الورتلاني: الجزائر الثائرة، دار الهدى، عين مليلة ، الجزائر ، ص 197.
[2]- محمد البشير الابراهيمي:عيون البصائر، دار المعارف، القاهرة، 1963، ص 34.
[3]- عبد الكرم بو الصفصاف، ج ع م ج و دورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، 1931-1945، رسالة لنيل الدراسات المعمقة ، ط1، دار البعث للطباعة و النشر،1981،ص 105.

سلطانها على نفوس المسلمين، و نشر فضائلهما، و آدابهما و إحياء اللغة العربية و آدابها، و إحياء التاريخ و رجاله الغر الميامين...". (1)

أما الهدف الثاني و الذي لم يعلن عنه الجمعية، فهو بعيد المدى يتمثل في استرجاع الوطن و استقلاله، و تكوين دولة عربية و هو هدف وطني سياسي أراد العلماء تغطيته عن طريق التأكيد على النهضة العلمية و الدينية في الجزائر ، و في نفس الوقت كان العلماء يؤكدون أن السياسة لا يمكن أن تكون بعيدة عن العلم، و في هذا الصدد نجد قول عبد الحميد بن بأديس سنة1937:" لا بد لنا من الجمع بين السياسة و العلم، و لا ينهض العلم و الدين حق النهوض، إلا إذا نهضت السياسة بجد. (2)

و قد جعلت الجمعية من التربية و التعليم وسيلة لمقاومة الاستعمار لإدراكها أن فهم الجزائري لعروبته و إسلامه، هو شرط ضروري لتحرره، و لتحقيق هذه الأهداف سطرت الجمعية برنامجا يتماشى مع الوضع في الجزائر ، هذا البرنامج تضمن أربعة و عشرين فصلا تناول التسمية و طبيعة الجمعية، و هياكلها و أعضاءها و طرق تسييرها و تمويلها.

القسم الأول تطرق إلى طبيعة الجمعية و تسميتها، فحدد الفصل الأول الشكل القانوني للجمعية و أعطاها الصبغة الدينية و التعليمية ، أما الفصل الثاني فقد أكد أن الجمعية قد تأسست حسب القواعد المبنية في القانون الفرنسي المؤرخ في جويلية 1901، في حين جاء في الفصل الثالث انه لا يحق لهذه الجمعة التدخل في أي مسالة سياسية مهما كانت. (3)

و الجمعية بإعلانها لهذا الفصل كانت تهدف إلى تجنب المصير الذي لقيته معظم الحركات السياسية.

و الوطنية في الجزائر في ظل الأحكام الاستثنائية الزجرية.

أما القسم الثاني من هذا البرنامج فقد خصص لتبيين قصد الجمعية ، و هو محاربة الآفات الاجتماعية بأنواعها ، كما أضاف أنها ستحقق هذا البرنامج بكل الوسائل الممكنة التي لا تتعارض مع القانون.

1- محمد رزمان: المرجع السابق، ص 16 .
2- عبد الكريم بو الصفصاف : ج ع م ج و علاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى، ص 112.
3- المصدر نفسه، ص 14.

بينما تطرق القسم الثالث لأعضاء الجمعية من حيث واجباتهم و حقوقهم، و من حيث الانتخاب، أما القسم الرابع فقد خصص لمالية الجمعية ، و تناول القسم الخامس حقوق الجمعية في حين ضم القسم السادس الهيئة الإدارية و الاجتماعات العامة . [1]

[1]-محمد خير الدين: مذكرات، ج 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 125.

المبحث الثاني: تنظيمات و أعمال الجمعية

المطلب الأول: تنظيماتها ووسائلها الدعائية

لقد اعتمدت جمعية العلماء لتحقيق الأهداف المسطرة في برامجها على وسائل مختلفة تضمن وصول مبادئها إلى جميع شرائح المجتمع و أهم هذه الوسائل:

1- المدارس:

حيث قامت الجمعية بفتح عدد كبير منها، و قد بلغ عددها أكثر من 150 مدرسة نذكر منها: الحديث بتلمسان ، ومدرسة التربية و التعليم بقسنطينة ، و مدرسة الشبيبة الإسلامية بالجزائر العاصمة، و مدرسة تهذيب البنين في تبسه [1]، هذه المدارس احتوت الأطفال الذين لم يدخلوا المدارس الفرنسية ، و كذلك الذين كانوا يتابعون دراستهم بالفرنسية ، و يحضرون للاستزادة ، و قد كان هذا التعليم ذو صبغة دينية، حاول العلماء من خلاله تكوين طبقة مثقفة ثقافة عربية إسلامية حديثة تمكنها من مواجهة المشاكل التي تستجد في المجتمع .

و بذلك تحولت هذه المدارس إلى منافس كبير للمدارس الفرنسية .

2-المساجد:

التعليم الديني في الجزائر هو تعليم عربي محض[2]، و قد استغلت الجمعية المساجد كمدارس لتكوين التلاميذ ، و حتى تعليم الكبار ، حيث كانت تقوم فيه بدروس الوعظ و الإرشاد و الجواب و السؤال أثناء الدروس ، و قد قال عبد الحميد بن بأديس " المسجد و التعليم صنوان في الإسلام ، من يوم ظهر الإسلام ، فما بني الرسول-صلى الله علية و سلم- يوم استقر في دار الإسلام بيته، حتى بني المسجد كان يقيم الصلاة فيه و يجلس لتعليم أصحابه، فارتباط المسجد بالتعليم كارتباطه بالصلاة ، فكما لا مسجد بدون صلاة ، كذلك لا مسجد بدون تعليم.[3]

1- عبد الكرم بو الصفصاف، ج ع م ج و دورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية،ص 125.
2- محمد الطاهر فضلاء ، دعائم النهضة الوطنية الجزائرية التعليم الديني، الإصلاح الديني، جمعية العلماء ، ط 1، دار البعث قسنطينة، الجزائر، 1984، ص 48.
3- مازن صلاح مطبقاني: عبد الحميد بن بأديس العالم الرباني و الزعيم السياسي، ط 2 ، دار القلم، دمشق، 1999، ص 52.

و قد حاولت السلطات الفرنسية تجريد المساجد من هذه المهام و لكن الجمعية كانت حريصة على استعادتها. إلى جانب بناءها لمساجد عديدة منها: مسجد الجامع الأخضر، مسجد سيدي لموش، مسجد سيدي عبد المؤمن، و المسجد الكبير.

3- الصحافة:

و قد جعلت منها الجمعية مدارس متنقلة غير محصورة في مكان واحد من اجل تبليغ الناس و توعية الرأي العام (1)، و لذلك أنشأت العديد من الصحف منها: المنتقد و قد أصدرها عبد الحميد بن بأديس قبل تأسيس الجمعية و هي تمثل لسان نخبة الشباب ، كانت تحارب من خلالها الطرق الصوفية و أعوان الإدارة و بمجرد تعطيل هذه الأخيرة انشأ بن بأديس مجلة الشهاب التي استمرت في الصدور حتى الحرب العالمية الثانية و واصل فيها محاربته للطرق الصوفية و لكن بلهجة اقل حدة و لم تكن الشهاب الجريدة الرسمية للعلماء، حتى بعد خلق جمعيتهم، لكنها كانت ميدانا لكل من يهتم بالإصلاح الاجتماعي، ثم توالي إصدار الجمعية للصحف منها السنة النبوية الشريفة المحمدية ، الصراط المستقيم و أخرها و أهمها البصائر .

و من بين الأهداف التي سعى ابن بأديس لتحقيقها من خلال نشاطه الصحفي و إصداره لعدة صحف ما يلي:

1-المشاركة في الحركة الصحفية بالكتابة في القضايا التي تهم الشعب الجزائري.

2-تأكيد الشخصية العربية الإسلامية للجزائريين، و ذلك بنشر الوعي الديني و الدفاع عن العقيدة الإسلامية مما خالطها من المعتقدات الباطلة.

3-جعل الصحافة منبرا لتبادل الآراء و الأفكار، و فتح المجال أمام الناشئة، و تعويدهم على الكتابة السليمة الهادفة،(2) و مما يبين هذا المقال الذي نشره في افتتاحية المنتقد في 02 جويلية 1925" و سنسلك ف انتقادها طريق الحقيقة المجردة و الصدق و الإخلاص و النزاهة و النظافة في الكلام ..." و يواصل قائلا " هذه مبادئنا هي مبادئ الصحافة الحرة التي هي قوة لا غنى لأي امة عنها و لا رقي لأمة ناهضة بدونها ".(3)

1- عبد الكرم بو الصفصاف، ج ع م ج و دورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية،ص 139.

2- مازن صلاح مطبقاني: المرجع السابق، ص 68.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4-**النوادي:**

تعد مركزا من مراكز التثقيف تلتقي فيه كل الطبقات الشعبية، و كانت الجمعية تقوم من خلال هذه النوادي بنشر الوعي السياسي و الثقافي بين الشباب ، و تساهم في تكوين علاقات جديدة بينهم، حيث كانت تلقي فيها الدروس و المحاضرات، و نعقد أيضا الندوات و الاجتماعات تعالج قضايا دينية و اجتماعية و ثقافية، و أشهر هذه النوادي نادي الترقي. [1]

و تعتبر النوادي وسطا جامعا بين المدرسة و الجامع فكانت مفتوحة في وجه العناصر التي لم تجد الجمعية وسيلة لتبلغ لها دعوتها الإصلاحية، و تعتمد النوادي على دخل خاص من المشروبات المباحة التي تباع فيها، و بالإضافة إلى الترقي كان هناك نادي التقدم و نادي الاتحاد و نادي صالح باي الذي تأسس سنة 1908، و هو أهم النوادي و أكثرها نشاطا، و كانت له فروع كثيرة في بعض المدن الجزائرية، كما انتشرت العديد من النوادي في المدن منها: النادي الإسلامي في ميلة، و نادي النجاح في سيدي بلعباس، و نادي العمل بسكيكدة، و نادي الشباب المسلم في قالمة ، و الهدف من تأسس هذه النوادي هو حماية الشباب من عوامل الانحراف و الفساد الخلقي و الاجتماعي، و استغلال هؤلاء الشباب فيما يعود على الأمة بالفائدة، و تربيتهم تربية قومية ووطنية. [2]

و بالإضافة إلى هذه الوسائل اهتم ابن بأديس بالكشافة خاصة فوجي "الرجاء و الصباح " الذي رأى فيها تطلعا إلى معركة التحرير، كما ساهم في تأسيس بعض الجمعيات الفنية و الرياضة منها" جمعية الشباب الفني " التي تأسست عام 1936، و هدفها إحياء الفنون الإسلامية و الاقتباس من الغرب كالفن التمثيلي لخدمة الفكر الإسلامي ، كذلك" جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونية" التي تأسست عام 1934 في تونس، و قد اشرف على تكوين مجلسها الإداري الشيخ محمد البشير الإبراهيمي و التي كانت من أهدافها تقوية الروابط بين الطلبة الجزائريين بتونس، و مساعدة الفقراء و المحتاجين منهم و الإشراف على سير الطلبة من النواحي العلمية و الأخلاقية. [3]

و قد أسس طلبة الجزائر " جمعية طلاب شمال إفريقيا" في الجزائر سنة 1930، و كان للعلماء دور بارز في نشاط هذه الجمعية، كما تأسست جمعية أخرى لطلبة شمال إفريقيا في فرنسا لتقوي أواصر الوحدة بين الطلاب المغاربة ، و قد عقدت هذه الجمعيات عدة مؤتمرات في الجزائر و دول المغرب العربي، شارك فيها العلماء بالإضافة إلى إنشاء جمعية التجار و الجمعيات الخيرية فكانت جمعية تجار

[1]- عبد الكرم بو الصفصاف، ج ع م ج و دورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية،ص 163.
[2]- رابح تركي: المرجع السابق، ص 366.
[3]- مازن صلاح مطبقاني: المرجع السابق: ص ص 116-118.

قسنطينة 1934، برئاسة بلقاسم بوشجة، كذلك " جمعية أمال" الذي ضم التجار الجزائريين من مختلف أنحاء الوطن بعد الحرب العالمية الثانية (1).

و بالإضافة إلى هذه الوسائل هناك وسيلة ظرفية أي توجبها الظروف و هي المشاركة في الاحتجاجات و إرسال الوفود و الرسائل و المشاركة في التجمعات و تأتي كرد فعل على الإجراءات التعسفية التي تصدرها الإدارة الفرنسية ضد نشاط الجمعية،(2) فمثلا جاء ردها عنيفا على مشروع ميشال الذي فرض المراقبة على العلماء فقامت الجمعية بإرسال البرقيات و الرسائل و مقابلة المسئولين و كذلك من خلال الصحافة و الاجتماعات، كما استنجدت بالنواب في المجالس المحلية و كذلك بالرأي العام للوقوف بجانبها، و في سنة 1936 شاركت في المؤتمر الإسلامي و كان أعضاؤها من بين الذين سافروا لتقديم مطالب المؤتمر للحكومة الفرنسية . (3)

1- مازن صلاح مطبقاني: المرجع السابق، ص 121.
2- عبد الكرم بو الصفصاف، ج ع م ج و دورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية،ص 167.
3- عبد الكرم بو الصفصاف :المصدر السابق، ص 168.

المطلب الثاني: أعمالها في ميداني التربية و التعليم:

شهدت الجزائر في العشرينات فراغا ثقافيا، أدى إلى تقهقر الثقافة العربية الإسلامية و تراجعها السيئ الذي دفع العلماء إلى القيام بنهضة عربية إسلامية شاملة، أو كما أوجز ذلك الإبراهيمي بقوله:" الحداثة و كل ثقافة عصرنا بواسطة اللغة العربية " ، و لذلك بذلت جمعية العلماء جهودا جبارة في نشر التعليم العربي الحر في الجزائر بهدف المحافظة على مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية[1]. فقد انصبت جهودها على التربية الإسلامية و التعليم العربي الحر، و الذي يشمل مبادئ اللغة العربية و آدابها و مبادئ التاريخ الإسلامي و التربية الإسلامية الصالحة و علوم العصر [2] . و من اجل ذلك مرت جهودها بثلاثة مراحل:

المرحلة الأولى:

امتدت من التأسيس عام 1931 إلى الحرب العالمية الثانية 1939، و قد ركزت في هذه المرحلة على التعريف بمبادئها، حيث بدأت حركتها التعليمة بفتح المدارس الحرة. و قد شجع عبد الحميد بن بأديس العلماء على رخصة لفتح المدارس في جهات متعددة من الوطن، و تولى هو التعليم في قسنطينة في المسجد الأخضر أما محمد ألميلي فقد توجه إلى التعليم في المدارس الفرنسية في ميلة ، أما إبراهيم بيوض فقد نزل في القرارة في وادي ميزاب ينشر التعليم العربي هناك[3]، و قد اشتملت هذه المرحلة على نوعين من التعليم :

التـــعليم المدرسي: حيث قامت الجمعية بإنشاء جمعيات إصلاحية محلية تتولى فتح المدارس كما تقوم بدفع رواتب المعلمين و تامين المساكن لهم و قد بلغ عدد مدارسها سنة 1935، 70 مدرسة استقبلت 30.000 تلميذ من ذكور و إناث. أما في سنة 1938 فقد بلغ عدد مدارسها في عمالة قسنطينة 85 مدرسة تضم 4047 تلميذ، أما في عمالة الجزائر فقد تزايد عدد المدارس على النـــحو الأتي :

في سنة 1935 بلغ عددها 28 مدرسة، و في سنة 1937 وصل إلى 33 مدرسة ليبلغ سنة 1938، 68 مدرسة ضمت 9063 تلميذ. [4]

1- رابح تركي: التعليم القومي و الشخصية الوطنية، 1931-1956، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1975، ص 256.

2- محمد البشير الإبراهيمي في قلب المعركة، 1954-1964، ط 1، شركة دار الأمة للطباعة و النشر، الجزائر، 1994، ص 108.

3- محمد علي دبوز :إعلام الإصلاح في الجزائر من عام 1931-1975 ،ج3 ،ط1 مطبعة البعث ،قسنطينة ،الجزائر ،1975، ص ص57-79.

4- عبد الكرم بو الصفصاف، ج ع م ج و علاقتها بالحركات الوطنية الأخرى،ص 135.

أما النوع الثاني من التعليم هو التعليم ألمسجدي و الذي اعتمدت فيه الجمعية على طريقة الوعظ، و التذكير و هي طريقة السلف السابق تذكر بكتاب و تشرحه و تتجلى عبره، و بالصحيح من سنة رسول الله تبينها و تشرحها، و بسيرته العملية ، تجلوها و تدل الناس على مواضع التأسي منها، و سير الصحابة و هديهم ، و من جاء من بعدهم من السلف الصالح.

و من بين المساجد الأولى التي انطلقت منها حركة التعليم الإصلاحي ألمسجدي الجامع الأخضر الذي يقوم بالتدريس فيه عبد الحميد بن بأديس ، وقد مر بأربعة مراحل، و كان يدرس فيه التفسير و الحديث ، و الفقه و الفرائض، و الأدب و المواعظ و التجويد و الأصول، و المنطق و النحو، و الصرف و البلاغة و التاريخ، كما اعتمدوا على أمهات الكتب،[1] و منها الموطأ اقرب المسالك، الرسالة، بن عاشر البز دودي، المفتاح، التنقيح ، السلم ، ألمكودي ، القطر، الاجرومية، الزنجاني، اللامية، السعد، الجوهر المكنون، من ديوان الحماسة ، من ديوان المتنبي، أمالي القالي، من مقدمة ابن خلدون، و أهم شيوخ الجامع الأخضر عبد الحميد بن بأديس ، عبد الحميد بن الحيرش، حمزة بكوشة المتخرجون من جامع الزيتونة و لا تنقص النفقة في هذا المسجد عن ثلاث مائة فرنك مع ملحقات.

كما كان أسلوب الجمعية في هذا التعليم هو إطلاق العناية بالمعنى و النفوذ إلى صميمه من اقرب طريق يؤدي إليه،بالإضافة إلى هذا المسجد هناك مساجد أخرى في تبسه ، سطيف، تلمسان، و مازونة.[2]

المرحلة الثانية:

انحصرت في فترة الحرب العالمية الثانية 1939-1944، و بما أنها كانت في فترة حرب، فقد توقف نشاط الجمعية إلا في إطار محدود ، و ذلك عندما قام المستعمرون بمساومة رجال العلماء على التعاون معهم لإبقاء صحفهم لينشروا منها ما يؤيدهم، و لكن العلماء قرروا إيقاف صحفهم حتى لا يجبروا على نشر ما لا يريدون، لأنهم لا يستطيعون قول ما يريدون بحرية و بسبب رفضهم قامت الإدارة باعتقال الإبراهيمي في افلو، و بينما هو في معتقله، توفي رئيس الجمعية عبد الحميد بن بأديس ، فانتخبه إخوانه لخلافة الجمعية ثقة فيه، و تحدي للمستعمر.[3]

---

[1]- احمد الخطيب: المرجع السابق، ص 209.

[2]- المرجع نفسه، ص 209.

[3]- محمد الطاهر فضلاء: الإمام الرائد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، نشر و طبع و توزيع مكتبة و مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1967، ص 27.

المرحلة الثالثة:

امتدت من سنة 1944، و هي فترة الانطلاقة الواسعة للجمعية في نشر التعليم العربي الحر، فبعد الحرب استأنف العمل بنشاط، فأمر الإبراهيمي بفتح المدارس التي كانت مغلقة.

و قام بجولات في سائر أنحاء الوطن يزكي الروح الوطنية، و يؤسس المدارس و النوادي و المساجد،[1] ففي سنة 1948، وصل عدد المدارس إلى حوالي 140 مدرسة موزعة في معظم مدن القطر و قراه، أما في سنة 1954 فقد وصل عدد المدارس إلى 150 مدرسة ابتدائية حرة، كان يتردد عليها أكثر من 50.000 تلميذ بين بنين و بنات يدرسون مبادئ اللغة العربية و آدابها و أصولها دينهم، و تاريخ قومهم، ليبلغ عدد المدارس القرآنية في سنة 1955، 400 مدرسة، و بلغ عدد تلاميذها 75.000 من ذكور و إناث و 700 مدرس .

كما أكدت في هذه المرحلة على ضرورة العمل الإصلاحي التربوي الذي هيا الأرضية الصالحة و المناخ الملائم للعمل الثوري. [2]

و فيما يخص تسيير هذه المدارس و نظامها الداخلي، فقد كانت تشرف عليه الجمعية بمساعدة الجمعيات المحلية التي أوجدتها خلال المرحلة الأولى، فقد تركز اهتمام الجمعية على اختيار المعلمين لمدارسها على أساس قوة شخصية المعلم من ناحية و حسن أخلاقة و كفاءته العلمية من ناحية أخرى ، و ذلك نظرا للدور الكبير الذي يقوم به المعلم، و كان طلق عليهم اسم المعلمين الأحرار نسبة للتعليم الذي كانوا يقومون به و كذلك لتمييزهم عن المعلمين الرسميين التابعين لإدارة الاحتلال نسبة للتعليم الذي كانوا يقومون به و كذلك لتميزهم عن المعلمين الرسميين التابعين لإدارة الاحتلال، كما أن هؤلاء المعلمين لم تكن لهم معاهد خاصة لتكوينهم بل يعتمدون على الخبرة الشخصية في مجال التعليم، [3]و لم تشترط الجمعية على هؤلاء المعلمين أية شهادة و استمر ذلك إلى غاية 1951، حين أصبح اعتبار الشهادات العلمية شرطا أساسيا و ذلك بقرار من لجنة التعليم العليا لتصبح في سنة 1953 عملية القبول تخضع إضافة إلى الشهادة لامتحان خاص و هو أهلية التعليم، و أصبحت الجمعية تجري مسابقة كل عام،[4] و قد بلغ عدد المعلمين في عام 1951 ، 275 معلما و معلمة لا يدخل فيهم الموقوفون و المسجونون من طرف

[1]- محمد الطاهر فضلاء:المرجع السابق، ص 28.
[2]- ناصر الدين سعيدوني: الجزائر منطلقات و أفاق، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان، 2000، ص 224.
[3]- رابح تركي:التعليم القومي و الشخصية الوطنية، ص 217.
[4]- المرجع نفسه، ص 217.

الإدارة الفرنسية بسبب نشاطهم، كما قامت بالإشراف على سلوك و نشاط المعلمين و كذلك الإشراف الفني على المدارس و اختيار البرامج التعليمة و تامين الكتب اللازمة و التفتيش التربوي و المراقبة الدورية و بهذا قامت بتوحيد التعليم بإنشاء "لجنة التعليم العليا" التي كانت تشرف على كل ما يتعلق بشؤون التعليم في سائر أنحاء البلاد .[1]

كما عقد المعلمون الأحرار مؤتمرا لهم يوم الأربعاء و الخميس الثاني و العشرون و الثالث و العشرون من شهر سبتمبر لتبادل الآراء فيما يهم التعليم العربي الحر و مدارسه و مساجده و نظمه و أساليبه و الغاية من ذلك التوصل إلى توحيد مناهجهم في التعليم العربي و دعت إليه كل من يحرص على هذا التعلم و طالبتهم أيضا بإعداد خلاصة أرائهم ضمن تقارير تقدم للمؤتمر[2] و منها:

1- وسائل لتوجيد التعليم

2- أسلوب التعليم

3- أسلوب التربية الناشئة

4- خلاصة تجاربهم في التربية و التعليم

5- الكتب: و هل الأحسن اختيار الكتب المصرية أو تأليف كتب تتفق مع الروح الجزائرية

6- رأيهم في تعليم البنت المسلمة ووسائل تحقيقه

7- التعليم ألمسجدي ووسائل تنظيمه و ترقيته

8- رأيهم في الوسيلة التي تعيد بها المرأة المسلمة سيرة سلفها من تلقي العلم

9- تقارير مفصلة لدرجة إقبال الأمة على التعليم بأقسامه السابقة (كل في جهته) [3]

وفي عام 1952 قررت الجمعية منح شهادة انتهاء دروس التعليم الابتدائي العربي التي لم تكن موجودة من قبل.

كما أسست الجمعية معهد عبد الحميد بن بأديس الثانوي في قسنطينة ليتابع فيه تلاميذ المدارس الابتدائية دراستهم[4]ووضعوا شروطا لالتحاق الطلبة بهذا المعهد أهمها أن يكون الطالب محصنا للقران وان يكون في حالة صحية و مالية تسمح له بمتابعة الدراسة وان يكون مستواه لا يقل عن السنة الخامسة

[1]- محمد الطاهر فضلاء: المرجع السابق، ص 28.
[2]- عبد الرحمان شيبان: ا ثار الإمام عبد الحميد بن بأديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ج 4، ط1، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ، دار البعث ، قسنطينة، 1985،ص121.
[3]- عبد الرحمان شيبان :المرجع السابق، ص ص 121-122.
[4]- محمد الطاهر فضلاء: المرجع السابق، ص 28.

وان تحصل الجمعية على موافقة أولياء الأمور عن طريق مديري المدارس كما أنشأت الجمعية معاهد أخرى في باقي عمالات الجزائر .

كما الجمعية بعد إتباع الحركة التعليمية بتوجيه بعثات علمية إلى المعاهد و الجامعات العربية و كانت أول بعثة في السنة الدراسيـــــة 1951-1952تضمنت 17 طالــب و طالبة واحدة إلى مصر و في العام الدراسي 1952-1953 أرسلت بعثة أخرى إلى العراق عددها 11 طالب و في نفس السنة أرسلت بعثة إلى سوريا تتكون من 10 طلاب و في 1953 أرسلت بعثة تكونت من 14 طالبا إلى ثانويـــات الكويت، هذا بالإضافة إلـــى الطلبة الذين أرسلوا إلى المغرب العربي . (1)

و كما ذكرنا سابقا فان دفع رواتب المعلمين و تامين المساكن لهم، و توفير المفروشات للمدارس كان من اختصاص الجمعيات المحلية، أما صندوق الجمعية فكان يمول من الاشتراكات المنتظمة لأعضاء الجمعية، و أنصار الإصلاح في المدينة و التبرعات العينية و النقدية للمحسنين. و كذلك من حصيلة المهرجانات الثقافية التي تقيمها المدارس خلال المواسم الدينية و القومية في أخر العام الدراسي و كذلك إيرادات النوادي الحرة. (2)

و من خلال كل هذا نلاحظ أن نشاط الجمعية في ميدان التعلم كان في تطور مستمر رغم العراقيل التي واجهتها فقد كانت انطلاقتها موفقة ، حيث تمكنت من تثبيت جذورها في أوساط الشعب الجزائري ، ثم عرفت فترة ركود بسبب ظروف الحرب و مشاكلها الداخلية لتنطلق بعد ذلك في تحد وبنفس جديد فوسعن مدارسها و أدخلت أنظمة جديدة عليها و إرسال البعثات إلى الدول الشقيقة .

كما اعتنى أعلام الإصلاح في معاهدهم الزاهرة الشيخ إبراهيم بيوض، و الشيخ عبد الحميد بن بأديس، و العربي التبسي، و الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، و الشيخ مبارك ألميلي، و غيرهم، بالتربية العقلية و الخلقية في معاهدهم فكانوا يستعملون عقول الطلبة في وقت الدرس بأساليبهم الحكيمة ، و بعد الدرس بالتمارين الكثيرة ، التي يكلفون بها أتلميذ، و عودوهم على قراءة الكتب الدسمة في الأدب و الاجتماع ، و الشريعة ، و التاريخ و غيرها. و أذاقوهم حلاوة هذه الفنون ف دروسهم. (3)

---

[1]- رابح تركي: المرجع السابق، ص ص 122-123.
[2]- المرجع نفسه، ص 311.
[3]- محمد على دبوز: المرجع السابق، ص 81.

المطلب الثالث: موقف السلطات الفرنسية من نشاط الجمعية

خشيت السلطات الاستعمارية من نشاط جمعية العلماء المسلمين، خاصة و أن مدارسها الحرة تفوقت في ميدان التعليم على مدارس الحكومية ، و بدأت تخرج شبان يختلفون عن هؤلاء الذين أرادت الحكومة إعدادهم لمناصب الإمامة و القضاء هذا دفعها للقضاء عليها و محاربتها، و ذلك بمعاونة رجال الطرق الصوفية المناوية لها و الذين كانوا عملاء لها. (1)

كان الكاتب العام بيرتون أول من نادي باتخاذ موقف سياسي ضد الجمعية ، الذي اعتبرتها خطيرة نظرا لوطنيتها و حماسها المتدفق، و كراهيتها للأجنبي ، و دعوتها الوحدوية و الإسلامية الأخوية بين المسلمين الجزائريين ، بغض النظر عن مذاهبهم و مطامحهم ، و مكانتهم الاجتماعية ، كما يرى بيرتون أن اخطر شيء على الوجود الفرنسي هو الدعاية المدرسية التي كان يقوم بها العلماء بهدف الهيمنة على روح الشباب و توجيهه ضد فرنسا ، فاقترح على السلطات الفرنسية في سنة 1932 و استعمال قانون 18 أكتوبر 1832، القاضي بمنح رخصة حتى يعرقل نشاط الجمعية التعليمي فوافق الحاكم العام كارد. على هذا الاقتراح في صيف 1932.

و صدر قرار مراقبة نشاط الجمعة أرسله الحاكم العام برسالة إلى عملة قسنطينة قائلا:(يجب مراقبة و تفتيش المدارس و القبول و عزل المعلمين ...الخ، و إخضاع المدارس التي تم افتتاحها من قبل الجمعية، (2) و طلب بيرتون الكاتب العام من عامل عمالة قسنطينة أن يطبق هذه التدابير بمنتهى الحكمة و هكذا شرعت الإدارة منذ سنة 1932 تشدد الخناق على الجمعية و تعرقل نشاطها . (3)

و استمرت هذه المضايقات، ففي 1937 أصدرت الإدارة الفرنسية قوانين غلق المدارس لأنها تفتقر لرخصة قانونية. هذا المرسوم كان بمثابة ضربة قاسية للعمل الإصلاحي المدرسي، الذي كانت تقوم به الجمعية. (4)

و ما اكتفت المدارس فقط بل سجنت العلماء و المدرسين و فرضت غرامات مالية و حرمت التلاميذ من التعليم فكن معلمو و تلامذتها يعانون شتى أنواع المشاكل بسبب اضطهاد الاستعمار.

---

[1]- جلال يحي: المغرب الكبير المعاصر، ج 4، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1981، ص 219.
[2]- عبد الكريم بوصفصاف: المصدر السابق، ص ص 151-163.
[3]- المصدر نفسه: ص ص 151-165.
[4]- Ali Merad : le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940, les édition, EL-hikma, ALGER 1999 , p 293.

ففي البداية قامت السلطات الفرنسية بمنع العلماء من إلقاء دروس الوعظ و الإرشاد في المساجد، ثم تبعت قرار منعهم من النوادي والمدارس، وذلك لمحاربة و شل الحركة الإصلاحية للجمعية في جهاتها الثلاث: المساجد، النوادي، و المدارس. (1)

تعرض المعلمون للحبس و التغريم و المحاكمة كالمجرمين ، حيث في مغنية مثلا: مدرسة التقدم تعرضت لمهاجمة الشرطة التي جاءت تعبث و تعتقل عددا من الطلبة بحجة أن آباءهم آو مدير المدرسة أعطى لهم مناشير يعلقونها على الجدران، و سنهم يتراوح 16 سنة ، و كانت المدرسة قد بدأت التعليم سنة 1949.

كما أن السلطات الفرنسية اعتقلت في مستغانم الشيخ ابن الدين معلم ف المدرسة، و قامت بسجنه مدة4 سنوات بدعوى انه علم التلاميذ أناشيد ثورية و من جهة أخرى أغلقت مدرسة بلفور الواقعة بضاحية الحراش في العاصمة بعد عامين من فتحها و اصدر قرار غلقها الوالي العام بحجة أن المدرسة لا تملك رخصة قانونية. (2)

واصلت السلطات الفرنسية محاربة اللغة العربية و التعليم العربي الحر إذ اصدر شوطان وزير الداخلية فرنسا في مارس 1938 قرار باعتبار اللغة العربية لغة أجنبية ،(3) و منع تدريسها في الجزائر إلا بإذن مسبق تمنحه الإدارة الاستعمارية سواء أكان ذلك في دروس الوعظ ، أو بالمدارس و من يخالف القانون يسجن و من لم يسجن يشدد الخناق عليه و يبقى يعيش متخوفا من السلطات حتى أن التلاميذ كانت تزج بهم في السجن و كانت الإدارة الفرنسية تصعب ف منح رخصة لتعليم اللغة العربية ، حيث سعى الإمام البشير الإبراهيمي جاهدا لتمنح له هذه الرخصة، حيث كان يدخله المكلف بمنح الرخصة في مجموعة من الإجراءات ، زيادة على السخرية و الاحتقار ، و إذا خرج من مكتب يدخل في مكتب ، و ذلك كله لتصعب عليه منحه الرخصة و يحرم منها من كان:

- عضوا في جمعية العلماء المسلمين
- أو كان منتميا إليها بالفكر أو بالإيديولوجية

[1]- محمد ألميلي الشيخ مبارك ألميلي حياته العلمية و نضاله الوطني ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان، 2001، ص 214..

[2]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، مرحلة الثورة 1954-1962، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، 2007، ص 59.

[3]- رابح تركي: المرجع السابق، ص 157.

– أو كان اشترك يوما ما في جمعية ثقافية

– أو كان قدر له أن استمع يوما إلى النشيد الوطني

– أو كان منخرطا في حزب سياسي. (1)

فانه بهذا لا يمنح له رخصة، لان واحدة من هذه الصفات تجعله مارقا متمردا على الاستعمار، الذي كان لا يغادر صغيرة و لا كبيرة من سيرة الجزائريين في أي موقع و أي لحظة إلا أحصاها و عددها.

و قد حاولت الإدارة الفرنسية تفجير الجمعية و قامت بحركة مناهضة ضد العلماء ، فأنشأت جمعيات تحت أسماء دينية مختلفة، حيث أنشأت في تبسه: الجمعية الدينية الإسلامية ، ووضعت على رأسها كولون يدير شؤونها و كانت تهدف بها بث دعاية كاذبة في عقول الجزائريين ، ومن بين ما روجت له هو أن العلماء المصلحون قد جاءوا بدين جديد ، و منذ أن ظهرت الدعوة الإصلاحية انقطعت البركة و امسك الله عنا المطر ، و كانت لهذه الدعاية تأثير كبير على الشعب . (2)

كل هذه القرارات و الاضطهادات و العراقيل ، لان السلطات الفرنسية تخوفت على مستقبلها و مصالحها ، فقامت بعرقلة مدارس الجمعية و هددت المعلمين بالسجن و التغريم أن استمروا في التدريس بحجة انه ليس لهم رخصة التدريس حيث انه في سنة 1946 فقط بلغت قضايا المحاكمات للمعلمين بتهمة التعليم 27 قضية ، حكم في جميعها بالتغريم و في ثلاث منها بالتغريم مع السجن و في واحدة منها بالسجن و التغريم المضاعف. (3)

إن الهدف الحقيقي للسلطات الفرنسية هو القضاء على جمعية العلماء المسلمين ، لأنها أدركت أن نشاط علماء الجمعية بدا يزداد و يأخذ شكل نظامي أكثر مما كانت الإدارة الفرنسية تتوقعه، فبدأت تصدر في القوانين ، و الإجراءات الإدارية لتعرقل نشاط الجمعية و تزرع في نفوس أعضاءها الفشل و اليأس و تحط من حماسهم .

لكن هذا لم يحدث فبالعكس كلما ضغطت السلطات الفرنسية على العلماء زاد تمسكهم بمبادئهم و تعليم أبناء الجزائريين

هذا يبين تحدي و صمود العلماء في وجه الاستعمار

1- عبد الملك مرتاض:محمد البشير الإبراهيمي 1889-1965 ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر ،1984،ص-ص45-49.

2- عبد الكريم بوالصفصاف:المصدر السابق،ص-ص145-146

3- محمد البشير الإبراهيمي:المصدر السابق، ص433.

خلاصة

تعرضت الجمعية لعدة مضايقات من طرف الحكم الاستعماري ، ولكن مع هذا لم تحل نفسها وظلت متشبثة بوجودها طيلة فترة الوجود الفرنسي ، وحتى عندما افتعل الفرنسيون قضية اغتيال الشيخ عمر دالي ، المفتي الجزائري سنة 1930 واتهموا قادة الجمعية باغتياله ، واعتقلوا العديد منهم على رأسهم الشيخ بن باديس والشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، وقدموا للمحاكمة ، ولكن بفضل الله سبحانه وتعالى برئوا من هذه الفعلة الشنيعة ، وعندما خرج الشعب الجزائري في أواخر سنوات الأربعينات في مظاهرات صاخبة للمطالبة بحق تقرير المصير، اعتقل العديد من الزعماء الوطنيين ومن بينهم علماء الدين ، ولكن مع هذا استمر نشاط الجمعية وأسست معهد عبد الحميد بن باديس بالقسنطينة ، وفتحت العديد من المدارس ، وأرسلت بعثات الطلاب إلى المشرق وخاصة الأزهر الشريف . واستمر الحال هكذا إلى أن استقلت الجزائر سنة 1962، وجمد نشاط الجمعية ضمن نشاط كل الجمعيات والهيئات والأحزاب وأعلنت شعارها «إن الإسلام ديننا والعربية لغتنا وان الجزائر وطننا» وكان هدف الجمعية هو بعث أمجاد الإسلام والعروبة ، وكان نشاطها يعتمد على إنقاذ الشباب من براثن الثقافة الفرنسية ، كما عرفت الحركة الدينية الإصلاحية في الجزائر طيلة تاريخها بأنها حركة معتدلة تقوم على الدعوة بالتي هي أحسن ، وساهمت بشكل كبير في بلورة الوعي الديني في الجزائر، ذلك بتأسيس النوادي وفتح العديد من المدارس في مختلف المدن والقرى الجزائرية ، وتوجه العلماء نحو المساجد لبث الدعوة مما جعل الحكم الاستعماري يتصدى لهذه الحركة ، فأغلق المدارس ومنع العلماء من ممارسة نشاطهم.

الفصل الثاني:الطرق الصوفية.

تمهيد

يعد التصوف مبحثا من أهم المباحث التي يستند إليها الفكر الإسلامي،حيث يرتكز التصوف الإسلامي على ثلاث مكونات أساسية وهي: الكتابة الصوفية والممارسة الروحية والإصلاح الصوفي.وتحتل الطرق الصوفية أهمية كبرى في الحياة الفكرية،ومن القضايا الشائكة والمعقدة في تاريخنا الثقافي والديني، ويقول المستشرق الفرنسي إريك جيوفروي"(ErickJiofruit)أن المستقبل في العالم الإسلامي سيكون حتما للتيار الصوفي،ويرى أن الصوفية قدمارسوا السياسة في أحيان كثيرة،كما مارسوا أدوارا ثقافية واجتماعية"

المبحث الأول:لمحة تاريخية عن التصوف و انتشاره في الجزائر.

المطلب الأول:مفاهيم عامة حول التصوف.

- **تعريف التصوف**:اختلفت و تعددت التعاريف حول مفهوم التصوف حيث يعرفه ابن خلدون :انه العكوف على العبادة و الانقطاع إلى الله تعالى و الإعراض عن زخرف الدنيا و زينتها و الزهد فيها مما يقبل عليه الجمهور من لذة و مال و جاه و الانفراد على الخلق و العبادة في خلوة ،و كان دلك معروفا في الصحابة و السلف حسب رأيه ،و لما اقبل الناس على الترف في الدنيا اختص الدين تمسكوا بالعبادة باسم الصوفية ،فالتصوف عند ابن خلدون عبادة و معاهدة النفس على الأفعال و التروك ،كما أن الغاية التي يرجو المتصوف بلوغها هي التوحيد و المعرفة. [(1)]

- التصوف ظاهرة دينية و مفهوم معين للإسلام عرفه التاريخ الإسلامي قوامه فلسفة روحية ترتكز على الذكر و الاعتكاف وفق أساليب تربوية مرهقة للنفس لحملها على الطاعة حتى تزكو و ترتقي إلى مراتب عليا من الإيمان. [(2)]

أما لويس رين فقد نفى أن يكون التصوف إسلاميا أو مسيحيا أو هنديا ،و ليس فلسفة قائمة بدأتها أو فرقة دينية معروفة و محددة بمذهب معين ،بل أن التصوف هو مجرد نمط من العيش في حالة طهر و صفاء كاملين ،كما نفى هدا الباحث أن يكون التصوف عقيدة آو تفكير عقلي معللا دلك أن التصوف الحقيقي لا يظهر إلا في الشعور و الإلهام و الانطباع و غيرها من المعطيات الغامضة. [(3)]

-**تعريف الطريقة الصوفية**:في رأي السنيين أن الطريقة هي التي تأسست على صفتين هما انقطاع القلب عن الأخيار و خلو اليد من الدنيا الغادرة ،و ا ن اول طريقة هي التي كانت على يد أبي بكر الصديق و لهذا كان للتصوف طرق كثيرة ، إذن فالطريقة هي حلقة الوصل بين الشريعة الإسلامية و الحقيقة الإلهية . [(4)]

كما نجد أن هناك من يطلق على الطريقة اسم الورد الذي هو المنبع و هو أيضا الدخول في الطريقة إذ يقال ورد أو دخل الطريقة على حد سواء ،على أن الداخل في الطريقة يأخذ الورد من الشيخ أو خليفته و بهذا يصبح الورد هو تعاليم الطريقة و عقيدتها أو مذهبها. [(5)]

---

[1]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، 1830-1954، ج 4 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1998، ص ص 8-9
[2]- التليلي العجيلي: الطرق الصوفية و الاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية، (1881-1939)، مجلد 2، منشورات كلية الآداب بمنوبة ، 1992، ص25.
[3]- أبو القاسم سعد الله: المصدر السابق، ص 9.
[4]- أحميدة عميراوي: رسالة الطريقة القادرية في الجزائر ، دار الهدى للطباعة و النشر، عين مليلة، الجزائر، ص14.
[5]- أبو القاسم سعد الله: المصدر السابق، ص 17.

تعريف الزوايا:

هي عبارة عن مجمعات من البيوت و المنازل مختلفة الأشكال و الأحجام تشمل بيوت للصلاة كمساجد و غرف لتحفيظ القران و أخرى كمسكن للطلبة و تخزين للمواد الغذائية و غيرها مؤسسوها رجال الدين المتصوفون انتشرت بالشكل الواسع و المكثف في القرن السابع عشر خلال الزحف الاستعماري في القرن التاسع عشر و مطلع القرن العشرين. (1)

-الزاوية عادت تعني الركن من البيت و قد تولدت عنها معاني كثيرة منها انزواء الناس بعضهم لبعض، أي تضامنوا و تألفوا و قد أخذت الزاوية في شمال إفريقيا ما يطلق على بناء ديني شبيه بمؤسسة تعليمية تحتوي في الغالب على قبة و غرفة للصلاة و ضريح لولي صالح و غرف لتحفيظ القران و استقبال الزائرين. (2)

تعريف المرابطون:

أول من أطلق لفظ المرابط هو عبد الله بن ياسين من دعاة دولة المرابطين الذي لقب بها أعوانه الملازمين له في الربطات العسكرية و بداية من القرن الحادي عشر ميلادي لم تقتصر كلمة المرابط على المحارب الديني و التصقت برجل الدين من الأولياء و بخاصة منهم الإشراف من نسل الحسن بن علي بن فاطمة بداية من عهد المرينيين، و تطور مدلول كلمة المرابط فصارت تنطق بمولاي و سيدي و للا ، فصفة المرابط في بداية ظهورها كانت تطلق على الشريف غير ألطرقي. (3)

كان لفظ المرابط يعني في الأصل الشخص التقي الذي يرابط في الصوامع المحصنة الرباط تحول في الاستعمال لينطبق في أن واحد على الولي الحي و الولي المتوفى و المعلم الذي يحوي ضريح الولي و خلق الولي و تعدى كل ذلك الإطار و صار يشمل حتى الأشياء و الأشجار و الحيوانات المتفاوتة في درجات القدسية و إلى جانب القدسية الوراثية كانت توجد قدسية مكتسبة بفعل الجدارة الفردية. (4)

---

[1]- يحيى بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،1999، ص ص 136-135

[2]- أحميدة عميراوي:المرجع السابق، ص 16.

[3]- المرجع نفسه ، ص 17.

[4]- شارل أندري جوليان: تاريخ الجزائر المعاصر،ط 1 ، دار الأمة ، الجزائر ، 2008، ص 32.

المطلب الثاني: نشأة التصوف.

يكثر الخلاف حول التصوف بين من يعتبره إسلامي النشأة و بين من يرجعه إلى أصول أجنبية دخيلة على الثقافة الإسلامية. و الملاحظ انه غالبا ما يكون هذا الاختلاف مظهرا لتجاذب الآراء بين مادح للتصوف و ذام له ، و ليس غرضنا تتبع تلك الآراء المتعارضة إنما أن نتعرف على آراء علماء الجمعية في الموضوع و خاصة على رأي البشير الإبراهيمي الذي يقدم بين ايدينا عرضا لتاريخ ظهور التصوف و حقيقته و مراحل تطوره و خصائص كل مرحلة و ما آل إليه

يرى البشير الإبراهيمي أن التصوف في حقيقته و نشأته " نزعة مستحدثة في الإسلام، لا تخلو من بذور فارسية قديمة، بما أن نشأة هذه النزعة كانت ببغداد في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة و اصطباغ بغداد بالألوان الفارسية في الدين و الدنيا معروف. و هو لا يطمئن إلى هذه النزعة المستحدثة في الإسلام و يشك في نوايا منتحليها فتدسس بعض المتنطعين من الفرس إلى مكامن العقائد الإسلامية لإفسادها، لا يقل عن تدسس بعضهم إلى مجامع السياسة و بعضهم إلى فضائل المجتمع و آدابها لإفسادها (1)

فعلى رأي الإبراهيمي فان التصوف الذي ظهر في المجتمع الإسلامي ببغداد هو مذنب مدسوس لتحقيق إغراض معينة معلومة عند أصحابها و لم يكن إسلامي النشأة على عكس رأي القائلين بان التصوف امتداد لظاهرة الزهد و الاجتهاد في العبادة التي ميزت الصدر الأول من الإسلام بل يذهب إلى القول بان التصوف مزيج من تعاليم و أراء مختلفة فارسية و يونانية و فيها أيضا شيء من مظاهر المسيحية و هو التسليم المطلق و شيء من مظاهر البرهمية و هو تعذيب الجسد و إرهاقه. (2)

من الواضح إذن أن الإبراهيمي يركز على العوامل الأجنبية الدخيلة في ظهور هذه النحلة في البيئة الإسلامية و انه يفرق بين ظاهرة الزهد و ظاهرة التصوف و هو يعتبر الزهد و الانقطاع عن الدنيا لباسا خادعا تستر به أولئك المغرضون حين يصف التصوف بأنه:" نزعة غامضة مبهمة تسترت به في أول أمرها بالانقطاع للعبادة و التجرد من الأسباب و العزوف عن اللذات الجسدية و التظاهر بالخصوصية لنكه يفرق بين المنتسبين إلى التصوف الآخذين به من القاصدين كالجنيد و من الغالين كالحلاج و من الواقعين بين القصد و الغلو.

وإذا كان الإبراهيمي قد ذكر العوامل الخارجية و لم يشير إلى العوامل الداخلية ، فان مبارك الميلي قد أشار إلى هذه العوامل الخارجية و الداخلية على الأقل في بداية ظهور التصوف و ذلك حين قال: " و دخلت لفظة التصوف اليونانية س إلى العربية لما ترجمت كتب اليونان و الهند في الدور العباسي لا سيما

1- محمد البشير الإبراهيمي: أثار محمد البشير الإبراهيمي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1978، ج 1، ص 342.

2- مبارك بن محمد الميلي: سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،دار الكتاب ، الجزائر، ص 38.

أيام المأمون، و كان ذلك العصر عصر اختلاف ديني و اضطراب سياسي فاخذ من التصوف كل فريق حسب استعداده و صوره بما يلائم غايته

إن هذا الرأي الذي ذكره الميلي دلالته التاريخية ،فقد كان يهدد الدولة العباسية على عهد المأمون الحركة المانوية و الحركة الشيعية ، و قد أدرك المأمون العواقب الوخيمة التي تترتب على التصفية الجسدية للزنادق خاصة بعد اتساع مفهومها بعد وفاة المهدي ليشمل كل خصوم الدولة العباسية. (1)

أما الحركة الشيعية فقد كانت العدو الأول للدولة العباسية على الواجهة السياسية، و قد عرفت هذه الحركة تطورا خطيرا على مستوى التنظيم الحزبي السري بحيث ظهرت الفرقة الإسماعيلية الباطنية، و لجأت الدولة العباسية إلى مقاومة الغنوط المانوي و العرفان الشيعي و هما من طبيعة إيديولوجية فلسفية واحدة .

كما أكد عابد الجابري أن التداخل بين غلاة الشيعة و بين المتصوفة حقيقة تاريخية لا غبار عليها و انه لم يبدأ الانفصال بين الطرفين إلا بقيام القطيعة النهائية بين الدولة العباسية و المعارضة الشيعية مع ظهور الحركة الإسماعيلية الباطنية . (2)

فقد ذهب الإبراهيمي إلى القول بان بداية التصوف كانت بسيطة تنحصر في الخلوة للعبادة أو الجلوس لإرشاد و تربية من يشهد مجالسهم و أن موضوع التصوف كان مجاهدة النفس و تزكيتها لتنعم بمرضاة الله تعالى لذلك كانت سيرة المتصوفة و غايتهم هي : " التبتل و الانقطاع للعبادات التي جاء بها الإسلام و مجاهدة النفس عن طريق الرياضة بفطمها عن الشهوات حتى تصفو الروح و ترق و تتاهل لمشارفة الملء الأعلى و تكون بمقربة من أفق النبوة و تتذوق لذة العبادة الروحية. (3)

و ما أن حل القرن الثالث الهجري حتى بدا التصوف يتحول من الزهد البسيط إلى الكلام عن مضامين الحياة الروحية بصورة أكثر تعقيدا و أخذت تتحدد المصطلحات المتصوفة و بدا الكلام عن مراتب الترقي الروحي و قد اشتهر في هذه الفترة ذو النون المصري الذي يعتبر أول واضع لعلم التصوف، و في تعاليمه التي سجلها و رتبها الجنيد البغدادي تظهر العقيدة الأساسية للتصوف من حيث طبيعة النفس و المعرفة و مراتب الوجود و غير ذلك ، لكن هذا التحول في الحركة الصوفية أثار حفيظة أهل السنة من الفقهاء و المتحدثين الذين استنكروا على المتصوفة القول بالوحدة و الفناء و التحاد و الحلول و الكشف و الاستخفاف بالتكاليف الشرعية و الميل إلى السماع . (4)

1-مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، ج 2، ص342.
2- محمد عابد الجابري: تكوين العقل العربي، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت ، ط 1، 1984،ص ص 275-278.
3- محمد البشير الإبراهيمي: أثار البشير الإبراهيمي، ج4، ص 342.
4- حسن احمد أمين: دليل المسلم الحزين الى مقتضى السلوك في القرن العشرين، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الرغاية ، الجزائر 1990، ص ص 80-81.

و في أواخر القرن السادس الهجري تبلورت الطرق الصوفية بصورة نهائية ، وظهر علمان من أعلام التصوف السني لقي لطريقتهما نجاحا كبيرا و هما عبد القادر الجيلالي (562هـ، 1167م) واحمد الرفاعي (578هـ، 1183م) و ازداد شان الطرق الصوفية مع الأيام و الأحداث و تفرعت و انتشرت في كافة أنحاء العالم الإسلامي ووصل تأثير كتب أبي حامد الغزالي إلى الأندلس و المغرب في عصر دولة الموحدين حيث قام عدد من الشيوخ بتكريس التصوف السني.

فبعد أن كان التصوف نزعة روحية بسيطة عند بعض الأفراد الذين اثروا الدنيا و مجاهدة النفس ابتغاء مرضاة الله و تقربا منه تطور إلى تأمل فكري و استغراق روحي.

ثم تطور التصوف مرة أخرى إلى ممارسة جماعية طرقية إذ التف المريدون و الإتباع حول الشيوخ المربين في دور الصوفية و الزوايا و الرباطات التي تحولت إلى مؤسسات دينية متميزة لها تأثيرها في المجتمع حيث لعبت أدوارا اجتماعية و سياسية مختلفة تبعا للظروف المتغيرة . (1)

1- إبراهيم مذكور: في الفلسفة الإسلامية منهج و تطبيقه، مكتبة الدراسات الفلسفية، ط 2، منقحة، ص 70

المطلب الثالث: عوامل نفوذ الطرق الصوفية في الجزائر.

ظهرت حركة التصوف في المغرب الأوسط خلال القرنين الثاني عشر و الثالث عشر نتيجة لعوامل و إرهاصات دينية و اجتماعية و سياسية و اقتصادية تعود بجذورها الى القرن التاسع ميلادي تخمرت عبر قرون ونتج عنها ميلاد الحركة الصوفية:

العوامل السياسية:

- سياسة الدولتين الحمادية و المرابطية :

شكل المناخ السياسي في الدولتين الصنهاجيتن الحمادية و المرابطية، عاملا أساسيا، أدى إلى نشأة التصوف في المغرب الأوسط خلال النصف الأول من القرن السادس الهجري- الثاني عشر ميلادي- فالمرابطون كانوا قبل بداية دعوتهم و في أثنائها أهل ربط ملتزمين بالسنة على المذهب المالكي يعكس هذا حبهم للدين من خلال بذل أنفسهم من اجل كلمة الحق لذا كان أمراءهم على درجة عالية من الزهد و التبتل. [1]

- تولي المرابطين و شيوخ الطرق حركة الجهاد و مهمة الدفاع عن السواحل و المدن التي تكالب عليها الأسبان، خاصة بعد أن ثبت ضعف الحكام و عجزهم مما جعل شيخ الطريقة محل رجل الدولة في اعتبار المريدين.

-اعتماد الحكومة العثمانية على المرابطين و شيوخ الزوايا وزعماء القبائل في بسط نفوذها على البلاد و جباية الزكاة و جمع الضرائب و إسكات الخصوم. [2]

- تشجيع العثمانيين للمرابطين و أصحاب الطرق بإظهار الاحترام لهم و التقرب منهم، بالهدايا و إسقاط الضرائب عنهم و السكوت عن انحرافاتهم، [3] و قد فهم الناس أن هناك تحالفا بين الحكام و بين المرابطين و شيوخ التصوف، فاندفعوا نحو الطرق التي تدفقت على الجزائر من المشرق و من المغرب. و لكن هذه السياسة تغيرت في أواخر الوجود العثماني، و حدث صدام مع بعض الطرق الصوفية كالتجانية و الدرقاوية. [4]

---

[1]- الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر خلال القرن 6-7 ه و 12-13م ، دار الهدى للطباعة و النش، عين مليلة، الجزائر، 2004، ص ص 85-86.

[2]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص ص 151-152.

[3]- حمدان بن عثمان خوجة: المرآة، تقديم و تعريب و تحقيق محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1975، ص 59.

[4]- أبو القاسم سعد الله: المصدر السابق، ص472.

-الحروب الطويلة التي دارت بين الحكام المتنازعين على السلطة ، أنهكت القبائل و تركت اثار عميقة في الإنسان المغربي، تجلت في رد فعله المتمثل في الهروب إلى التصوف و الالتفاف بالمرابطين و شيوخ الطرق حيث يجد عندهم الاطمئنان و النفسي و الأمل في النجاة و الأعوان وقت الشدة.

العوامل الاجتماعية:

يمكن أن نلخص العوامل الاجتماعية كما يلي:

– انشغال الحكومة بالجهاد، و الشؤون المالية و الإدارية و إهمالها لشؤون المجتمع جعلها لا تمثل السلطة الفعلية في البلاد ، و تترك فراغا ملأته الزوايا و الطرق إذ كانت شؤون الدين و التعليم و تربية النشء، و سائر الأعمال الخيرية تقع على عاتق المساجد و المدارس و الزوايا، التي انتشرت بكثرة في المدن و الأرياف. [1]

– إرهاق الحكومة للقبائل بالضرائب في أخر العهد العثماني ما جعل القبائل تلتف حول الطرق الصوفية كقوة جديدة تحميها خاصة و أن أتباعها يتألفون من عشرات القبائل.

– انتشار البذخ و الترف عند فئات معينة نتيجة الثراء الفاحش و تراجع القيم الدينية و الأخلاقية حيث أهمل الخاصة و العامة الكثير من مبادئ الدين، و قد حارب الصوفية هذا الانحراف و قاوموا بكل السبل و الطرق هذه الاختلالات مما أدى إلى انتشار مذهبهم. [2]

العوامل الثقافية:

يمكن أن نلخص العوامل الثقافية في ما يلي:

– تميز الحياة الفكرية بالجمود العقلي و الركود العلمي و انتشار الخرافة التي لم تعد قاصرة على عقول العامة من الناس بل شملت أيضا كثيرا من العلماء. [3]

– هجرة كثير من علماء الجزائر إلى المشرق و المغرب بسبب الاضطرابات السياسية مما أدى إلى ضعف الإنتاج الفكري و تدني المستوى العلمي ، خاصة بعد أن اخذ بعض علماء المساجد يبسطون المعارف و يكتفون بتكرار القديم حرصا على الإتباع و منافسة أصحاب الزوايا و من العلماء الذين فقدت البلاد الجزائرية بهجرته ركنا أساسيا من أركان الحياة العلمية: احمد بن يحيى الونشريسي صاحب المعيار الذي كان وحده خزانة علم و دائرة معارف و غيره كثيرون. [4]

[1]- أبو القاسم سعد الله: المصدر السابق، ص 269.
[2]-أبو القاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص269.
[3]- الحسين بن محمد الورثلاني:نزهة الانضار في فضل علم التاريخ و الأخيار ،دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1974، ص11.
[4]ابو القاسم سعد الله :تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1،ص37.

المبحث الثاني: دور الطرق الصوفية و موقفها من الاستعمار

المطلب الأول: اهم الطرق الصوفية في الجزائر :

يمكن أن نتناول في هذا العنصر الحديث عن خمسة طرق صوفية:

1-الطريقة الشاذلية:

تنسب الطريقة الشاذلية إلى أبي الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي، الذي ولد بقرية غماره التابعة لمدينة سبته المغربية عام (593ه-1197م) و توفي بالحميثرة في صعيد مصر قاصدا الحج عام 656ه – 1258م و دفن هناك. [1]

انتشرت الطريقة الشاذلية انتشارا واسعا، و خاصة في المغرب العربي حيث أحصيت به ثلاثة عشر طريقة شاذلية من مجموع ست عشرة طريقة. و كان معظم المرابطين الجزائريين من أتباع الطريقة الشاذلية قبل الوجود العثماني . و من أوائل هؤلاء المرابطين خلال العهد المذكور، أبو العباس احمد بن يوسف الراشدي دارا و نسبا الملياني (ت927هـ). [2]

كان احمد بن يوسف الملياني كثير التلقين للعامة و للنساء، كثير الأتباع، انتشرت طريقته في الجزائر و في المغرب الأقصى. و اقلق الدولة الزيانية بالتجمعات التي كان يعقدها في رأس الماء و في تلمسان و في وهران و نواحي البطحاء. و خشت انفجار الثورة بها، لتراخي قبضتها عنها، فحاولت الحد من نشاطه فسجنته. ثم خرج من السجن . كما تسبب أتباعه في حدوث اضطرابات في المغرب الأقصى. علت أمير فارس يحاربهم و يطاردهم. [3]

و في هذه الظروف التي اشتد فيها الخلاف بين الملياني و الزيانيين سعى العثمانيون إلى التحالف مع الملياني، و كان هذا الأخير وحزبه خير نصير و حليف للاستيلاء على تلمسان مقابل عدم تعرض العثمانيين للملياني و لطريقته وأولاده و إتباعه و ظل هذا التحالف محترما من الطرفين. [4]

2-الطريقة الرحمانية:

أسس الطريقة الرحمانية محمد بن عبد الرحمان بن أبي القاسم الحسنوي الزواوي الذي ولد بين 1714-1720 بقرية بو علاوة بعشيرة ايت إسماعيل من إقليم قشتولة من ارض جرجرة

1- عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دار الثقافة ، بيروت، لبنان، ط 4، 1982، ج 3 ، ص 251.

2- ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي:ج 1، ص ص 466-499.

3- أبو القاسم سعد الله: نفس المصدر، ص ص 503-504.

4- ابو القاسم سعد الله: نفس المصدر ، ص 470.

تعلم على يد ابن أعراب في قرية ايت ايراثن ،و بعد أن اخذ عن علماء العاصمة،سافر إلى المشرق عام 1740 فحج ثم نزل بالقاهرة مجاورا الأزهر الشريف فترة طويلة ،اخذ فيها عن كثير من علماء مصر و شيوخ التصوف و كان من أهمهم محمد بن سالم الحفناوي الذي لقنه الطريقة الخلوتية و عهد إليه بالدعوة إليها في الهند و السودان. [1]

ثم رجع بإذن من شيخه إلى بلاده عام 1769و اخذ في تلقين طريقته و في التربية و التعليم، حتى اخذ عنه خلق كثير و اشتهر أمره ،وانتقل إلى الحامة بالقرب من العاصمة و اخط يوسع دائرة دعوته ،لكن تلقى معارة شديدة من قبل علماء البلدة و مرابطيها ،ساقته إلى المثول أمام مجلس العلماء ،و انتهى الأمر بتبرئته من تهمة الزندقة ،و كان ذلك بإيعاز من الحكومة التي خشيت ثورة أتباعه الذين كانوا يشكلون حلف قشتولة المستقل عن السلطة العثمانية ، و على اثر هذه الحادثة، عاد محمد بن عبد الرحمان إلى زاويته بايت إسماعيل، و بعد ستة أشهر ، جمع مريديه ، و عين لهم عليا بن عيسى المغرب خليفة له، و أوصاهم بطاعته، و ترك له كل ما يملك. و توفي محمد بن عبد الرحمان في اليوم التالي عام(1208هـ-1793م). [2]

و بعد وفاته، تدفق الزوار من كل مكان على الزاوية الأم. و زاد نفوذ الطريقة. الأمر الذي اقلق الحكومة، فدبرت لاستخراج جثمانه و نقله إلى الحامة. حيث دفن و بني عليه مسجد و قبة. و لما تحقق سكان ايت إسماعيل بعد نبش القبر أن الجثة في مكانها، اعتبروا ذلك كرامة له. و اشتهر محمد بن عبد الرحمان منذ ذلك الحين بلقب "بوقرين"

لم يقتصر محمد بن عبد الرحمان على نشر تعاليمه في بلاد القبائل و العاصمة ، بل مد نشاطه أيضا إلى الشرق الجزائري عن طريق خليفة له قسنطيني هو مصطفي بن عبد الرحمان بن الباش تارزي الكر غلي. [3]

و خلال مدة ثلاث و أربعين سنة (120هـ، 1251هـ/1793م، 1835م)، استطاع الخليفة الأول: علي بن عيسى المغربي أن يدير الزاوية الأم بكل خدمة و نجاح و أن يوسع من نفوذ الطريقة التي اشتهرت زواياها بنشر العلم.

1- عبد الرحمان الجيلالي: المصدر السابق، ص 47.

2- marabouts et khouans. Etude sur l’islam en algerie, louis rinn. P 453.455.

3- ibid. ,p 459

الطريقة القادرية:

تنسب الطريقة القادرية إلى عبد القادر الجيلالي بن أبي صالح موسى جنكي، المولود بقرية جيلان، وراء طبرستان سنة (470هــ-1077م) و قيل سنة (471هــ-1078م) ،و المتوفى ببغداد سنة (561هــ - 1166م). [1]

و يعتبر عبد القادر الجيلالي الولي الأكثر شعبية في العالم الإسلامي. بما عرف عنه من علم و تقوى و دعوة إلى الإصلاح و التجديد، و جهاد دام أكثر من نصف قرن فقد: " فتح باب البيعة و التوبة على مصراعيه، يدخل فيه المسلمون من كل أنحاء العالم الإسلامي، يجددون العهد و الميثاق مع الله...". [2]

و قد انتشرت الطريقة القادرية في المغرب العربي عن طريق ذرية عبد القادر الجيلالي من مصر و الأندلس، و خاصة بعد هجرة بعض أحفاده الى الأندلس و إلى فأس. أما في الجزائر فقد ظهرت الطريقة القادرية قبل مجيء العثمانيين، فقد تحدث حسن بن باديس- صاحب السينية- عن عبد القادر الجيلالي و طريقته في القرن الثامن هجري. [3]

و قد كانت العلاقة بين العثمانيين و القادرية، علاقة ود و احترام. لكن خالطها في العهد الأخير بعض الشك و عدم الاطمئنان، إذ تخوف رجال الحكومة من أسرة محي الدين بن الحاج مصطفى الغريسي، التي ما فتئت مكانتها تزداد و نفوذها يتعاظم في منطقة الغرب الجزائري

و لما سمحت الفرصة لحاكم وهران . حسن بأي قام باحتجاز محي الدين و ابنه عبد القادر بوهران لمدة، و ذلك لما أراد الخروج للحج سنة 1243هــ، و لم ينجوا من عقابه، إلا بوساطة بعض رجال المخزن و وساطة بعض أفراد أسرة الباي نفسه. [4]

الطريقة التجانية:

أسس الطريقة التجانية احمد بن محمد بن المختار بن سالم التجاني، أبو العباس. من أولاد سيدي الشيخ محمد. المولود بعين ماضي قرب الاغواط عام (1150هــ، 1737م)

حفظ القران صغيرا، و اشتغل بطلب العلوم السائدة آنذاك. و كان من شيوخه المبروك بن بوعافية التجاني. ثم ارتجل إلى المغرب الأقصى عام (1171هــ، 1757م) بقصد الزيارة و البحث عن شيوخ التصوف . و قد التقى يبعضهم واخذ عنهم الطرق الطيبية و القادرية و الناصرية و الصديقية و تركها

---

[1]- عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام ، ج 3، ص 251.

[2]- ابو الحسن علي الحسيني الندوي، ربانية لا رهبانية، دار الشروق ، القاهرة ، ط 2، 1983، ص 31.

[3]- ابو القاسم سعد الله : المصدر السابق، ص ص 153-521.

[4]- نصر الدين سعيدوني: دراسات و أبحاث تاريخ الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1988، ص 233.

جميعا.[1] و تذكر بعض المصادر أن احمد التجاني الاباضي قد طرد من وسط الجماعة الاباضية ، تبرا منه بسبب ما كان يتعاطاه من ادعاء الكرامات.

و ظل التجاني متجولا في بلاد المغرب و المشرق، عاملا على الإعداد لتأسيس طريقته. في قرية أبي سمعون جنوب الأبيض، أعلن عن طريقته عام (1196هـ، 1781م) مدعيا انه تلقاها عن النبي (صل الله عليه و سلم) و استمر في نشر تعاليمه بجد و نشاط ، و متجولا عبر الصحراء و توات و السودان و تونس و منشأ الزوايا التجانية. و قد تخوفت الحكومة من قوة الطريقة التجانية. و قام محمد الكبير بأي وهران بالاستيلاء على عين ماضي عام (1199هـ، 1784م) و فرض عليها إتاوة سنوية.

و لما أرسل بأي وهران –عثمان بن محمد الكبير– إلى التجاني مهددا و متوعدا، أزمع هذا الأخير على الهجرة ،ارتحل بأهله و بعض إتباعه حتى نزل بفأس عام (1213هـ، 1798م) و استقر بقصر "حوش المرايات" مكرما و داعيا إلى طريقته إلى أن وافته المنية عام (1230هـ،1815م) .[2]

عادا ولدا التجاني محمد الكبير و محمد الصغير المعروف بالحبيب إلى عين ماضي بينما ظل خليفة التجاني الحاج على بن عيسى بزاوية تماسين .

و في سنة (1240هـ، 1825م) اعترضت قوات بأي قسنطينة محمد الكبير ، عن عودته من الحج. لكنه نجا و أعلن في إتباعه شق عصا الطاعة ضد الأتراك بين سنتي(1241هـ، 1242هـ/ 1826م، 1827م) ، لكن الثورة فشلت ، و قتل محمد الكبير بمعسكر عام

(1242هـ، 1827م) و فرضت الحكومة على أهالي عين ماضي غرامة باهضة مع تقديم أثاث من فضة و ملابس و فراش و أغطية من صوف.

و استمر محمد الصغير يتولى بمفرده شؤون زاويته بعين ماضي، و اتجه في الدعوة إلى الطريقة في الصحراء و السودان، بإرشاد من الحاج علي بن عيسى إلى أن توفي عام (1268هـ، 1853م).[3]

و على الرغم من انتشار التجانية في عين ماضي و تماسين و الاغواط و تقرت و ورقلة ووادي سوف، إلا أن زواياها لم تكن معاهد للتعليم خلال العهد العثماني و لم تحظ بالانتشار الواسع في القرى و الأرياف و بين الفلاحين كما هو الشأن مع الرحمانية لأنها طريقة ارستقراطية ينتسب إليها علية الناس و التجار.

1- ابو القاسم محمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، تقديم محمد رؤوف ألقاسمي الحسني، سلسلة العلوم الإنسانية ،1991، ص ص 282-283.

2- عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام ، ج 4 ، ص 54.

3- مجموعة من المستشرقين نقلها الى العربية ، محمد ثابت الفندي و آخرون: دائرة المعارف الإسلامية، مج 4، ص 594.

الطريقة الدرقاوية:

تنسب الطريقة الدرقاوية –الشاذلية الأصل– إلى مولاي العربي بن احمد بن الحسين الدرقاوي من الدارسة الإشراف بمراكش ،المولود بعد عام 1150 هــ–1737م المنوفي عام 1239ه –1823 م بين بني زرول في زاوية بوبريح ،و قد انتشرت الطريقة الدرقاوية في المغرب الأقصى و في الجزائر و أصبحت حصنا يحمي سياسة سلاطين مراكش. [1]

و كان من مقدميها في الجزائر بمنطقة وهران و نواحيها ،عبد القادر بن الشريف من قرية أولاد بليل قرب فرندة ،الذي قام بتأسيس زاوية لتدريس العلم و تلقين الأوراد.

و قد دخلت الطريقة الدرقاوية في مواجهة مسلحة مع العثمانيين على جهتين :إقليم وهران و إقليم قسنطينة ما أدى بالحكومة تضييق الخناق على رجال الطرق الصوفية و مراقبتهم ،و تتبع إخبارهم ،و قد ذهب ضحيتها بعض رجال الدين. [2]

هذا اضافة الى طرق اخرى لا تقل اهمية عن هذه الطرق و نذكر منها: العيساوية، الشيخية ، الطيبية، الحنصالية ، الزيانية، السنوسية، العيلوية ، الكرزازية و غيرها...

---

[1]- المرجع نفسه: مج 9، ص ص 198-200.
[2]- أبو القاسم سعد الله، مصدر سابق، ص 221.

المطلب الثاني:موقف الطرق الصوفية من الاستعمار

وضعت الحملة الفرنسية على الجزائر حدا نهائيا للوجود العثماني بالجزائر و كان الانهيار السريع لنضام الحكم ،دلالة واضحة على حالة الاضطراب السياسي و التدهور الداخلي للبلاد ،إذ بمجرد استسلام الداي حسين ،حدث فراغ سياسي في البلاد و لم يبق للناس شيء يجمعهم إلا الإيمان بوحدة العرش و الولاء للقبيلة و الطاعة للشيخ و المرابط. (1)

فكانت الطرق الصوفية وفق بنائها التاريخي الواسع في القبائل و لمكانتها الدينية، هي النظام الوحيد الحقيقي الذي تزعم حركة المقاومة الشعبية على شكل ثورات شعبية و هذه أهم الثورات التي قادها شيوخ الزوايا أو من أتباعهم:

-كفاح الأمير عبد القادر 1832م-1847م

- ثورة بومعزة :1845-1847م.

- ثورة الزعاطشة و الشيخ بوزيان :1848-1849م.

- مقاومة الاغواط و توقرت {الشريف محمد بن عبد الله بن سليمان}:1852- 1854م

- ثورة القبائل {بوبغلة الحاج عمر ،فاطمة نسومر}:1851-1857م.

- ثورة الأوراس{الشريف محمد بن عبد الله }:1858م.

- ثورة أولاد سيدي الشيخ :1864-1880م.

- ثورة ابن ناصر بن شهرة :1851-1871م.

- ثورة المقراني و الحداد :1871-1872م.

- مقاومة العامري {محمد بن يحيى بن عياش }:1876م.

- ثورة الأوراس {محمد امزيان بن عبد الرحمان}:1876-1879م.

- ثورة بوعمامة:1881-1883م.

-مقاومة الصحراء{احمد سلطان، الشيخ عبد السلام}:1902-1919م. (2)

استمرت هذه المقاومات الشعبية طيلة القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين،و قد شملت كافة أنحاء الجزائر ،لكنها كانت إقليمية و في فترات متتابعة و كان قادتها زعماء محليون مرابطون و شرفاء.

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج1، 1992، ص 255.
[2]- عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام ، ج 4 ، ص ص 345-349.

منهم من ينتمي إلى الطريقة القادرية مثل محي الدين بن مصطفى الذي تزعم الحملات الأولى للمقاومة في منطقة معسكر ،و مثل ابنه عبد القادر الذي بايعه زعماء قبائل غريس و غيرها على السمع و الطاعة في العسر و اليسر، و على بذل أنفسهم و أموالهم و أولادهم في سبيل إعلاء كلمة الله و الوطن . [(1)]

و منهم من كان من شيوخ الزوايا الرحمانية المعروفين مثل الحاج البشير المغربي ،زعيم الزاوية الرحمانية و صديق الأمير عبد القادر و المتعاون معه ، و الحاج عمر وكيل زاوية بوقبرين في ايت إسماعيل منذ عام 1843م الذي ساند ثورة بوبغلة ،و أذن لسكان قشتولة أن يتجندو في صفوفها ،و قام بكفالة عائلة بوبغلة بعد مقتله و خاض بدوره معارك ضد الفرنسيين بمشاركة لآلا فاطمة نسومر و منهم أيضا مرابطو فروع الزوايا الرحمانية الذين تجند و في معركة الزعاطشة و الزيبان مثل المختار بن خليفة في أولاد جلال ،و الصادق بن الحاج في الأوراس و عبد الحفيظ في الخنقة و محمد بن شبيرة في بوسعادة . [(2)]

كما وقف رجال الطريقة السنوسية موقفا مشرفا ،فثورة الشريف بن محمد بن عبد الله في ورقلة كانت بتحريض من شيخه محمد بن علي السنوسي الذي اجتمع به في الحجاز و انشآ معا زاوية للاجئين الجزائريين ،كما كان نشاط دعاة السنوسية في المناطق الصحراوية ضد الاحتلال الفرنسي من العوامل التي أثارت حماس المسلمين و احد أسباب ثورة بوعمامة بالجنوب ألوهراني . [(3)]

و من جهة أخرى نجد الطريقة التجانية بشيوخها و فيه لتعاليمها الصوفية التي تمنعها من التدخل المباشر في أمور السياسة . و يمكن أن نذكر على سبيل المثال لا الحصر : أن جواب شيوخ التجانية في تماسين و عين ماضي على مراسلات الأمير عبد القادر – هو الرفض التام للتعاون معه، و انه في سنة 1840م قدم محمد الصغير التجاني عونه المادي و المعنوي للمريشال Vallee ضد الأمير عبد القادر . بينما اكتفى الحاج علي سيخ زاوية تماسين، في سنة 1844م – لما غزا الدوق dumai بسكرة، و جاءه الناس يستشيرونه –اكتفى بكلام يفهم منه أن الله هو الذي أعطى الجزائر للفرنسيين و أن الله هو الذي يحمي سلطتهم، و نصحهم أن يبقوا هادئين و أن يسلموا للقدر . و لا تستغرب هذه المواقف، إذا علمنا من قبل أن محمد التجاني ، و مقدم إحدى الطرق في سيدي عقبة و محمد مزاري أغا الدوائر المشهورة ، الذي كان مع الأمير ثم تحول عنه و ميلود بن سالم الاغواطي مقدم الطريقة التجانية بالاغواط، هم الذين رافقوا الجاسوس الفرنسيleon roche الذي لبس لباس مقدم من مقدمي الطريقة التجانية. و تسمى باسم عمر

1- يحيى بو عزيز: المصدر السابق، ص ص 16-17.
2- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية ، ج1، ص 350.
3- يحيى بو عزيز: المصدر السابق، ص 248.

بن عبد الله الجزائري من اجل الحصول على تلك الفتوى التي تبطل الجهاد في الجزائر و تدعم الحرب النفسية التي برع فيها Bugeaudو رجاله.

و مهما يكن من أمر فان التاريخ سجل لمعظم المرابطين و شيوخ الزوايا موقفا مشرفا في الحركة الوطنية في عقود الأربعينيات و الخمسينات و الستينات من القرن التاسع عشر، ثم بدأت حركة الجهاد تهدا بعد ثورة القبائل سنة 1872م، و لم يكن هذا الهدوء بعد الغليان مفاجئا و عفوئيا و إنما كان نتيجة حتمية لجملة من الشروط ترجع كلها أو جلها إلى سياسة الاحتلال الفرنسي في الجزائر. (1)

<u>2-سياسة الاستعمار في قمع المقاومة الشعبية:</u>

يمكن حصر الوسائل و الأساليب التي استخدمتها فرنسا لقهر أي نوع من أنواع المقاومة الشعبية في ما يلي:

- مصادرة الأراضي من مالكيها بقوانين و طرق مختلفة، منذ بداية الاحتلال الفرنسي، و خاصة أراضي أولئك الذين اشتركوا في الثورات ضد فرنسا. فبعد انتفاضة القبائل عام 1871م، صادرت الجمهورية الثالثة ما قدره خمسمائة ألف هكتار من الأرض ، و أجبرت ألمالكين على مغادرة أراضيهم و خلال السنة نفسها أصدرت قرارا بمنح مائة ألف هكتار من الأرض عام 1872م ثلاث و ثلاثين قبيلة و فرع قبيلة من مالكة لأراضيها إلى اجيرة بعد أن صودرت منها، و ذلك في حوض واد الساحل. (2)

- محاولة القضاء على نظام العروشية و تفتيت العائلات الكبيرة: حيث تعاونت حكومة الاحتلال في البداية – من اجل بسطلا نفوذها على القبائل- مع بعض الأسر و العائلات الكبيرة ، وذات النفوذ الديني آو السياسي و المكونة من الأشراف و الاجواد و المرابطين، ثم أخذن تجردهم من نفوذهم ة تثير العداوة بينهم- منعا لاجتماعهم و تبديدا لقوتهم- و كما يقول الضابط seroka : " أن معرفة خلفيات العائلات الرئيسية في هذه البلاد (الجزائر) و عداوتهم و صداقاتهم و ثاراتهم، تجعلنا قادرين على حكمهم و من جهة أخرى عمل قانون sénatos cansolt الذي أصدره napoleon III في 22 افريل 1863م تفتيت نظام العروشية و القضاء على الملكية الجماعية .بدعوى إقرار حق الملكية الفردية الأمر الذي قسم العرش إلى قبائل و القبائل إلى دواوير ، فكان بذلك قانونا عقاريا و إداريا اضعف روح التضامن بين السكان و أتاح فرصة الاستيلاء على الأرض المجزءة.

1- أبو القاسم سعد الله: المصدر السابق، ص ص 245-247.

2- يحيى بو عزيز: ثورة 1871، دور عائلتي المقراني و الحداد، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ص 313.

–سياسة القهر و الإذلال : تفنن فرنسا الاستعمارية في طرق التدمير المعنوي، و أساليب الحرب النفسية، فهي لم تكتفي بسياسة الأرض المحروقة و الإبادة الجماعية و التشريد و النفي ، حتى خصصت الجزائريين بقوانين استثنائية رهينة هي قوانين الاندجينا التي صدرت عام 1874م و توسع نطاق العمل بها في عام 1881م. (1)

و كانت هذه الأحكام الصارمة تضيق على الجزائريين من كل جهة، فهم محرومون من حرية الاجتماع و من القراءة و الكتابة و من السفر إلا برخصة مشروطة. و هم ملزمون بدفع ضرائب فادحة، و عند ارتكاب أية مخالفة يحاكمون في محاكم زجرية قاسية. (2) و قد أسلمهم هذا الواقع المرير إلى حالات من الاضطراب النفسي و اليأس القاتل و الاستسلام.

–محاربة الزوايا و سياسة التدجين : انتهت فرنسا إلى أهمية إلى أهمية الطرق الصوفية و خطر الزوايا ابتداء من ثورة 1845م بالزعاطشة فقد لاحظ خبراء الاستعمار أن زعماء حركة الجهاد التي تولت محاربتهم كانوا ينبثقون من المعاقل الدينية المنتشرة عبر الوطن و هي الزوايا و المعاهد الإسلامية . (3) و اخذ الاستعمار في العمل على إضعافها بطرق مختلفة تارة بهدم الزوايا و تشريد شيوخها و تارة بالتضييق و تشديد المراقبة، و ثالثة بالتحالف مع ضعاف النفوس من المرابطين و شيوخ الطرق و إدخالهم في وظائف إدارية مقابل التعهد بالمحافظة على الأمن و النظام. و قد كان اهتمام napoleon III في عقد الستينات بالزوايا يهدف إلى خلق طبقة من " المخبرين و الجواسيس " تعتمد عليهم فرنسا في فرص رقابتها الفكرية و السياسية و الحيلولة دون قيام حركات ثورية ، و بذلك عينت على الزوايا التي كانت مركز نشاط عدائي لفرنسا ، شيوخا مدجنين، و جهلة مشعوذين، و أمدتهم بالغون المادي و الروحي ، و أطلقت يدهم في العامة يفسدونها بالانحرافات و الدجل و الخرافة و يخدرونها باسم الدين، مرددين على أسماعها، ما ذكره napoleon III لما زار الجزائر عام 1860م ، من ضرورة قبول الجزائريين لسيطرة الفرنسيين و التسليم لها و الخضوع للأمر الواقع و اعتبار ذلك من أقدار الله و حكمته و مشيئة الأزلية. (4)

و من الممكن أن ندرك خطورة هذا الاستغلال الفرنسي لنفوذ الطرق الصوفية، إذا علمنا انه في القرن التاسع عشر كان عدد الطرق لا يقل عن 23 طريقة ، ينضوي تحت لوائها 295189 عضوان و يشرف عليها 57 شيخا و 6000 عاملا و هم مقدمون و وكلاء و نواب و غيرهم و لها 347 زاوية

[1]- تركي رابح: الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر الحديثة، دار العلوم للطباعة و النشر،ط 1، 1983، ص 96.
[2]- احمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 2، 1984، ص 68.
[3]- أبو القاسم سعد الله: أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1990، ج 3، ص ص 17-18.
[4]- يحيى بوعزيز:ثورة 1871 ،ص-ص 26-27

و هي تجمع في كل عام حوالي سبعة ملاين من الفرنكات و بتحالف السياسة الاستعمارية مع النفوذ القوي للمرابطين و الطرق الصوفية المنحرفة، ارتمى الشعب الجزائري في أحضان البؤس و الفقر و الجهل و الخرافة و تجمدت فاعليته الاجتماعية – بصورة مذهلة– لصالح الاستعمار و الطرفية مغلوبا على أمره بسياسة فرنسا التي أرادت أن تجرده من كل ما يملك: أرضه و دينه و لغته و كرامته الإنسانية . [1]

[1] - دائرة المعارف الإسلامية ،مج6 ،ص 398

المطلب الثالث:تقييم دور الطرق الصوفية بالجزائر

لعبت الطرق الصوفية و زواياها الدينية أدوارا مهمة في الحياة الدينية و الثقافية و الاجتماعية، بل و حتى السياسية بالجزائر، و في كل بلدان المغرب الإسلامي، كما كان لها تأثيرا سلبيا في نفس المجالات:

-**الدور الايجابي:**

1- اهتمت بتحفيظ القران الكريم للأطفال و نشره بصورة مكثفة في الأجيال الإسلامية المتعاقبة و نشرته بين مختلف الطبقات الاجتماعية فكان اغلب الناس يحفظون القران كله أو بعض أجزائه عن ظهر القلب على عكس اليوم و قد كان معظم الناس يطبقون تعاليمه الدينية و المادية خاصة ما يتعلق بالسلوك و الأخلاق العامة الشخصية و الجماعية .

2-احتضنت اللغة و الثقافة العربية الإسلامية و أنفقت بسخاء على تعليمها و تدريسها و كان ذلك شكلا من أشكال مقاومة الجهل و الأمية و نشر العلم و المعرفة في أوسع مجالاتها و خرجت أجيالا من كبار العلماء و الفقهاء و القضاة و حفاظ القران الكريم. (1)

3- عملت على نشر الإسلام في المواطن و الأصقاع التي لم إليها خاصة الأقاليم الصحراوية النائية والأدغال الاستوائية كما فعلت التجانية و السنوسية والقادرية.

4- عملت على إزالة الفوارق الاجتماعية بين الفئات الاجتماعية المختلفة فقربت بين الفقراء و الأغنياء ،و العلماء و الأميين ،و الفت بينهم جميعا في إطار مفهوم الآية الكريمة :{إن أكرمكم عند الله اتقاكم}و مفهوم الأحاديث النبوية المختلفة :(المسلمون كأسنان المشط) و (لا فرق بين عربي و أعجمي إلا بالتقوى)،و هذا الجانب له أهمية خاصة في تاريخ الزوايا بالجزائر ،و معظم البلاد الإسلامية . (2)

5- لعبت دورا بارزا في إنهاء الخلافات و الخصومات بين مختلف الفئات و الطبقات الاجتماعية ،و ذلك بفضل مركز شيوخها و مقدميها ووكلائها ،فلعبت دور الحكم و قللت من المشاكل بين الناس ،و تمتع المجتمع الجزائري بنوع من الاستقرار النفسي و الخلقي و ساعده ذلك على التفرغ لمقاومة السيطرة الأجنبية الاستعمارية و اتخذ من شيوخ هذه الطرق الصوفية قادة له بدلا من الحكام المدنيين و قضاتهم الرسميين الذين قد لا يشبعون رغبتهم و لا يرتاحون لسلوكهم و أحكامهم.

6- كانت زوايا الطرق الصوفية بمثابة مخازن، ودواوين للكتب ، و المخطوطات العلمية في مختلف أنواع العلوم و الفنون و المعارف ،و ذلك بفضل اهتمام شيوخها و طلابها بالعلم و التعليم و النقل و النسخ

[1]- يحيى بوعزيز:ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرون ، ج 1 ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد الجزائر ،ط2،1996 ،ص-ص 344-345.

[2]- ملتقيات الفكر الإسلامي: محاضرات و دراسات عن الحياة الروحية في الإسلام، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، ج 4، ديسمبر 2005، ص 1324.

للكتب ، و التأليف و الجمع و الشراء و ما الى ذلك من وسائل الاقتناء للكتب غير أن اغلب ما بها من هذا التراث تسرب إلى البلدان الأوروبية خلال السيطرة الاستعمارية و تعرض جزء هام منه الى الضياع و التلف العفوي، و المقصود خلال الحروب المسلحة و الطويلة منذ 1830الى 1962 م . و كان ذلك خسارة كبرى لتراث هذا البلد الفكري و العلمي، و الأدبي و الفني. (1)

7- شاركت الطرق الصوفية مشاركة فعالة في مقاومة نظم الحكم الطاغية و المستبدة سواء منها المحلية الوطنية أو الاستعمارية الأجنبية.

فالدرقاوية ، الشاذلية، و الشابية، و التجانية، قاومت الولاة العثمانيين المستبدين في شرق البلاد و غربها ، و جنوبها الشرقي قبل عام1830.

و الرحمانية و السنوسية و القادرية حاربت الاستعمار الفرنسي و الانجليزي في الجزائر و تونس و ليبيا و مصر و معظم بلدان غرب إفريقيا ووسطها.

و تصدى زعماءها و جماهير أتباعها للمقامة طوال القرنين التاسع عشر و العشرين سواء وحدهم أو مع الزعماء السياسيين و العسكريين. (2)

كنموذج على ذلك في عهد الأتراك العثمانيون:

1-ثورة الشيخ احمد بن محمد بن المختار ألتيجاني ضد الداي حسين باشا الجزائر و بأي الغرب ألوهراني محمد بن عثمان الكبير أواخر القرن 18م. و كان من نتائجها رحيل احمد ألتيجاني إلى فاس في 17 ربيع الأول 1213هـ (1798/08/29م) و ترحيب السلطان محمد بن عبد الله به و تخصيصه جرايات مادية له و لمن معه من التباع، و دار للسكنى في حوش المرايات.

2-ثورة عبد القادر بن الشريف الكاساني ، الفليتي الدرقاوي ضد بآيات بأيليك الغرب 1217هـ (1802م) و استمرارها عشر سنوات كاملة .

و من أشهر معاركها معركة فرطاسة عام 1804، (ربيع الأول 1219هـ) . و قد أحدثت هذه الثورة خرابا في المنطقة و اضطرابا كبيرا سياسيا و اقتصاديا و اجتماعيا و عسكريا في الدولة و البلاد كلها و في هذه الثورة ألف أبو رأس الناصر رسالته: درء الشفاوة في أخبار الدرقاوة .

و في عهد الاحتلال الفرنسي :

1-ثورة الأمير عبد القادر القادري(1832-1847م)

2-ثورة الحاج موسى الاغواطي الدرقاوي في التيطري عام 1835م.

1- يحيى بوعزيز : مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية ، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 135.
2- ملتقيات الفكر الإسلامي: المرجع السابق، ص 1325.

3-ثورة الشريف محمد بن عبد الله بومعزة بجبال الونشريس و أولاد نايل 1845-1847م.

4-ثورة الشيخ احمد بوزيان القادري في واحة الزعاطشة عام 1849. [1]

إن هذه الثورات و الانتفاضات و التمردات وغيرها تؤكد الدور السياسي الذي كان للطرق الصوفية في هذه البلد و المكانة التي كانت لها في أوساط الشعب و لدى الطبقة الحاكمة ،كما تثبت قدرتها على تغيير الأوضاع و إرغام السلط على الانقياد لأرائها و توجيهاتها بفضل المكانة الدينية الواسعة التي كانت تتمتع بها .

8- بذلت الطرق الصوفية جهودا كبيرة و جبارة خلال الحقبة الاستعمارية الفرنسية في مقاومة سياسة الفرنسة و التنصير التي سنتها الإدارة الفرنسية و عملت على حماية الشخصية الإسلامية و الوجه العربي الإسلامي للجزائر و شعبها ،وذلك بمختلف الأساليب و الوسائل و الإمكانات و في كل الظروف و الأوقات و كان ذلك خيرا و بركة على البلاد وشعبها المتمسك بدينه و عروبته ثقافته العربية الإسلامية . [2]

- **<u>من الناحية السلبية:</u>**

<u>البعد الاجتماعي:</u>

1- <u>تفريق الأمة :</u>

يقول عبد الحميد بن باديس :بالرغم ما في الأمة الجزائرية من أصول الحيوية القومية فقد عكرتها البلايا و المحن حتى استخذت و ذلت ،وسكنت على الضيم و رضيت للهوان وبالرغم ما بينها من روابط الوحدة المتينة فقد عملت فيها الطرقية المحركة تفريقا و تشتيتا حتى تركتها اشلاءا لا شعور لها ببعضها ولا نفع... [3]وقد قدم لنا ابن باديس نموذجا واقعيا عن هذا التفرق فيحدثنا عن الطريقتين التيجانية و القادرية اللتين شطرتا أهل سوف إلى شطرين إذ باغت العداوة بينهما مبلغا حتى انعدمت المصاهرات بينهما أو كادت ،و في بلدة الرقيبة مثلا مسجد قسم بشطرين و ضرب فيه حائط بين المصلين هذا و أكثر من هذا يقع ،و شيوخهم يرون ذلك و لا يغيرونه ،بل يؤكدونه بما يبثونه من الدعاوى المتغالية في فضائل

[1]- يحيى بوعزيز:ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرون ، ج 1،ص-ص 346-347.
[2]- ملتقيات الفكر الإسلامي: المرجع السابق، ص 1326.
[3]- عمار الطالبي:ابن باديس حياته و آثاره، دار و مكتبة الشركة الجزائرية للتأليف و الترجمة ، للطباعة و النشر ، ط 1، 1968، ص 367.

طريقتهم ،و ما تتضمنه تلك الدعاوى من الحط من الفريق الأخر و زيغه و ضلاله فيزداد أولئك الأتباع الجهال المغرورين المخدوعين غلوا في طريقتهم و مقتا للطريقة الأخرى و يزداد الجفاء و القطيعة. (1)

2- **استغلال الأمة:**

أما استغلال الطرقيين و المرابطين للعامة فقد شمل الأبدان و الجيوب وكل ما ملكت ايديها ولو كان قوت يومها فانحق الشيخ قبل حق الزوجة والأولاد و الآباء و الأجداد و حق الشيخ في المال حق الفقير و المسكين (2)،ففي مجال استغلال الأبدان بالخدمة والسخوة يقول الإبراهيمي عن تلك التنقيحات التي ادخلها ابن عليوة و أتباعه عن الطريقة فيقول "و كان من تنقيحاتهم المضحكة تحديد مراتب التربية (الخلوية) لمعرفة الله بثلاثة أيام فقط لا غير ،تتبعها أشهر و أعوام في الانقطاع لخدمة الشيخ من سقي الأشجار و رعي الغنم و حصاد الزرع...." أما في مجال استلاب الأموال يصفهم الإبراهيمي بأنهم لصوص يأخذون أموال الناس بما يشبه الرضى، و أنهم أقبح من اللص العادي لأنهم يتلصصون باسم الدين. (3)

أما ابن باديس فانه يصف استغلال شيوخ الطرق للعامة و للفقراء فيقول "أن بعض المأمورين من بعض شيوخ الطوائف يأتون بثلة من أتباعهم فينزلون على المنتمين إليهم من ضعفاء الناس ،فيذبح لهم العناق إن كانت و يستدين لشرائها إن لم تكن موجودة ويفرغ المزاود و يكنس لهم ما في البيت و يصبح معدما فقيرا مدينا ...و شر ما في هذا الشر انه يرتكب هذا باسم الدين ويحسبه الجهال انه قرب لرب العالمين..." (4)

استسلم في القرن العشرين معظم زعماء و شيوخ الطرق الصوفية للإدارة الاستعمارية بعد أن أصابهم العياء و الوهن و التعب و تعاونوا معها و خدموها لأسباب و دوافع مختلفة و متنوعة : البعض للتقية و البعض للحصول على الجاه أو المنصب أو السلطة و النفوذ و هناك من التزم الحياد تماما و ابتعد عن السياسة ليتمكن من مواصلة النشاط الديني و الثقافي و التربوي و قد وقفوا ضد حركة الإصلاح كذلك مثل الطريقة التيجانية و العليوية.

1- مطبوعات وزارة الشؤون الدينية: أثار عبد الحميد بن باديس ،دار البعث للطباعة و النشر ، قسنطينة، الجزائر ، ط 1، ج 5 ، ص 159.

2- سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين: ص 33.

3- محمد البشير الإبراهيمي: آثار البشير الإبراهيمي، ج 1، ص 45.

4- عمار طالبي: المرجع السابق، ص ص 466-467.

الجانب الديني :

1-**التزهيد في القران** :و في تعليل لهجر المسلمين للقران يقول الإبراهيمي "إن اعضم مصيبة أصابت المسلمين و هي جفاؤهم للقران والحرمان من هديه و آدابه ،متشوها من الطرق الصوفية فهي التي غشيتهم بهذه الروح الخبيثة روح التزهيد في القرآن،ثم اخذ في بيان كيف زهدت الطرق الصوفية المسلمين في القران الكريم :

-لقد صرف شيوخ الطرق الناس عن فؤائد القران و خيراته و بركاته بما ابتدعوه من أوراد وما اخترعوه من رسوم و ما أضافوه إليها من تلك الفوائد و الخيرات و البركات.[1]

-وقد كانت نتيجة هذا الصد عن القرآن و هذا التعطيل له بذلك التضليل هو خلو النفوس من ذلك الحارس اليقظ الذي حرر السلف الصالح من العبودية للأوثان الحجرية و البشرية و صارت الأمة الإسلامية بغير هداية القرآن و فريسة لكل ناهم و مطية لكل راكب .[2]

- **الشرك و مضاهره** :يدخل الشرك في هذه الأمة الإسلامية في أمور كثيرة يمكن أن نذكر منها :

-**الدعاء و التوسل و الشفاعة :**

إن من أقسام الدعاء التي يدخل فيها الشرك دعاء غير الله و له نوعان :احدهما دعاء غير الله مع الله كالذي يقول"يا ربي و يا شيخي،يا ربي يا جدي ،يا الله و ناسه ،يا الله و يا سيدي عبد القادر .و النوع الثاني دعاء غير الله من دون الله كالذي يقول يا رجال الدالة ،يا ديوان الصالحين ...و يرى ابن باديس انه من دعا غير الله فقد عبده[3]

- **زيارة القبور و المزارات:** فزيارة القبور المأذون فيها هي التي تكون على وجه شرعي من غير شد الرحال ،فيزورها المسلم متبعا للسنة فيدعو لأهلها عموما وأقاربه و معارفه خصوصا ،و أما الزيارة البدعية فهي ما كانت شبيهة بزيارة المشركين و أهل البدع لدعاء الموتى و طلب الحاجات منهم أو لاعتقاد أن الدعاء عند قبر احدهم أفضل من الدعاء في المساجد و البيوت[4] و أما المزارات فهي مواضع و بناءات تزار للتبرك بمن جلس فيها من الصالحين أو دفن عندها أو سميت به و إن لم يرها ،كما هو الحال في وجود بناءات كثيرة على مزارات عديدة كلها منسوبة إلى عبد القادر الجيلالي

[1]- سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين ، ص ص 30-31.
[2]- سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، ص 31.
[3]- محمد مبارك الميلي: الشرك ومظاهره، ج 4، ص 208.
[4]- محمد بن عبد الوهاب: القول السديد في مقاصد التوحيد، ص 70.

دفين بغداد و هو لم يعرف تلك الأمكنة و لم يسمع بها حتى، و هي المزارات الجيلالية تكثر غربي الجزائر أكثر منها في شرقها ،و يعتقد أن روح الصالح هناك.

– **الذبيحة و الزردة :**يقول عنها مبارك الميلي "هي في عرفنا طعام يتخذ على ذبائح من بهيمة الأنعام عند مزارات من يعتقد صلاحهم و لها وقتان :احدهما في فصل الخريف عند الاستعداد للحرث و الآخر في فصل الربيع عند رجاء الغلة و الغرض منها التقرب من ذلك الصالح كي يغيثهم بالأمطار تسهيلا للحرث أو حفضا للغلة . [1]

و هذه الزردة التي يذكر اسم الله على ذبيحتها و نية الذبح هي للصالح هي من الذبح لغير الله تعالى و دلائل ذلك أنهم يوضيفونها إلى صاحب المزار فيقولون "زردة سيدي فلان" أو " طعام سيدي عبد القادر مثلا"، و أنهم يفعلونها عند قبره أو بجواره و لا يرضون لها مكانا أخر و أنهم إذا نزل المطر نسبوه إلى سر المذبوح له و قوي اعتقادهم فيه ، و أنهم إن نهوا عن فعلها في المكان الخاص غضبوا و رموا الناهي بضعف الدين أو بالإلحاد و أنهم لو تركوها فأصيبوا بمصيبة ، نكسوا على رؤوسهم و قالوا أن وليهم غضب عليهم لتقصيرهم في جانبه[2] و قد جاء في دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أن " بناء القباب على القبور و وقد السرج عليها و الذبح عندها لأجلها و الاستغاثة بأهلها ضلال من أعمال الجاهلية و مضاهاة لأعمال المشركين فمن فعلها جهلا يعلم و من اقره من ينتسب إلى العلم فهو ضال مضل[3]

النذر:

للنذر معنيان احدهما إيجاب الشيء على النفس مطلقا و الثاني وعد بشرط و هذا المعنى الثاني هو الذي يمونه المحدثون نذر المجازات و الفقهاء النذر المعلق و تسميه العامة في الجزائر الوعدة.[4]و قد شاع في المجتمع الجزائري و ثنية مؤادها أن من ذبح دجاجة سوداء في اليوم المعين فانه يرزق ذرية و من ذبح تيس في موسم سيدي فلان فانه ينال مالا ، و من اشترى في وعدة الولي الفلاني شمعة فانه ينال كل مرغوبة ، لذلك غشيت الدين غاشية منكرة من الأباطيل و أصبح دين

[1]- محمد مبارك الميلي: المصدر السابق، ص ص 215-227.
[2]- المصدر نفسه، ص ص 239-240.
[3]- عمار الطالبي : المرجع السابق، ص 238.
[4]- محمد مبارك الميلي : المصدر السابق ، ص 247.

عامة الجزائريين و إن كان متينا مغلولا بهذه البدعة و الأضاليل التي يحرص الكثير من رجال الطرق و الزوايا على إبقاءها و غرسها في القلوب لاستثماراتها و الانتفاع بها . [1]

اليمين:

شاع في المجتمع الجزائري الحلف بشيوخ الزوايا و المرابطين فيقول محمد مبارك الميلي" أما حالة العوام في إيمانهم فأنهم لم يطمئنوا إلا للحلف بأوليائهم ، فيحلفون بالله كاذبين في استخفاف و عدم مبالاة و لا يقنعون بمن حلف لهم بالله و لا يكتفون بها و لا يقدمون على الحلف بمرابطيهم و شيوخ طرقهم كذبا و لا يكذبون من حلف بهم ... [2] و في هذا قال رسول الله صلى الله عليه و سلم " إلا أن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت" .

البعد الثقافي:

تبيت الآثار السلبية للطرق الصوفية في المجال الثقافي من وجهة نظر اثر جمعية العلماء المسلمين في تكريس الجمود و التخلف فمن مآدب المريد أن التفكير و التساؤل و الاستدلال كلها أمور محرمة عليه في تعامله مع الشيخ و أن على المريد أن يخرج عن علمه و يكتفي بعلم شيخه و يستغني عن سواه و أن يعتقد أن خطا أفضل من صوابه هو، إلى غير ذلك من الآداب التي تعبر عن نزعة التسليم التي انتقلت من مجالس شيوخ الطرق و زواياهم إلى مجالس العلم و سيطرت عليها و فتكت بعقول المعلمين و المتعلمين و كان من أثارها هذا الارتخاء الذي نشاهده في ملكاتنا العلمية و هذا الفتور المستحكم الذي ادي إلى انحطاط و تدني في العلم[3] ، فابن باديس فانه يصف الحالة العلمية خلال فترة الاستعمار "بان العلوم في الجزائر منها علوم تؤخذ باللسان العربي و هي علوم الدين و اللسان و منها علوم تؤخذ باللسان الأجنبي و هي علوم الأكوان و العمران ، و قد كان الذين يزاولون العلوم الأولى على جمود تام ، كما كان الذين يزاولون العلوم الثانية على تيه و ضلال فهؤلاء يعتبرون الآخرين أحجارا و أولئك يعتبرون هؤلاء كفارا ..." [4] طالما أن الذين يزاولون علوم الدين و اللسان همهم العكوف على كتب الشيوخ المتقدمين و النقل عنهم دون تذكير أو انتقاد مع الغفلة و الأعراض عن التدبير في سنه الله في الأنفس و الكون ، بينما الآخرون شانهم النفور من البدع و

---

[1]- احمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 2، 1984، ص 377.
[2]-محمد مبارك الميلي: المصدر السابق، ص 259.
[3]- محمد البشير الإبراهيمي: أثار البشير الإبراهيمي، ج 1، ص 74.
[4]- مطبوعات وزارة الشؤون الدينية: المصدر السابق، ص 30.

الخرافات و الإيمان بالقوانين العلمية و السنن الكونية و ماتقرره العقول السليمة[1] و قد ذكر الميلي ان الطرقيين يعتمدون في دينهم على الخرافات و المنامات و مايربي هيبتهم في قلوب مريديهم من حكايات، و لا يتصلون بالعلماء إلا بمن أعانهم على الرد على المرشدين النصحاء بتأويل ما هو حجة عليهم و تصحيح الحديث الموضوع إذا كان حجة لهم [2]

[1]- مطبوعات وزارة الشؤون الدينية: المصدر السابق، ج 4، ص 116.
[2]- محمد مبارك الميلي: المصدر السابق، ص 280.

خلاصة:

إن تناول موضوع التصوف يتطلب معايشة داخلية و تأملا كبيرا و استيعابا دقيقا لمعاني فلسفية و روحية عميقة أي انه يتطلب مطالعة متأنية وواسعة و يبقى هذا الموضوع دائما محل بحث بالرغم ما كتب فيه من طرف باحثين جزائريين و عرب و مستشرقين ،و قد حاولنا الإلمام بأهم جوانب هذا الموضوع ،فقد تعددت الطرق الصوفية في الجزائر مع دخول التصوف وتفاوتت هذه الطرق من حيث الأهمية و الظهور ،إذ هناك طرق قديمة الظهور و أخرى حديثة ،كذلك نجد طرق أصيلة ظهرت في الجزائر و تفرعت فيها ،و أيضا هناك العكس وهي تلك التي هي في الحقيقة فروع لأصول موجودة خارج الجزائر ،خاصة في المغرب الأقصى أو في المشرق ،كما نجد الطرق الكبيرة ذات الآلاف من الأتباع الذين يتوزعون على كامل البلاد و أخرى صغيرة محدودة الأتباع والمكان، و قد كان لهذه الطرق دورا كبيرا في إرساء معالم الإسلام في المجتمع الجزائري و عملت على نشر الدين الإسلامي في مناطق عديدة في العالم ،و احتضنت اللغة العربية الإسلامية و قامت بتعليمها للأجيال خاصة في فترة الاستعمار الفرنسي الذي حارب اللغة العربية و التنكيل بمعلميها ،و ساهمت في مقاومة الاستعمار بالسلاح و خير مثال على ذلك تلك الثورات الشعبية التي قادها شيوخ الزوايا و الطرقيون ،كما كانت الزوايا ملجأ لطلاب العلم و المسافرين ،و نظرا للدور التي كانت تقوم به الطرق جعلت المستعمر يبحث جاهدا من اجل استمالتهم إليه ،و بين القوة و التنكيل من جهة و الاغرأت من جهة أخرى ،و استطاع استمالة بعض الطرق في صفه ،و هذه من الصفات التي انتقدت فيها الطرق ،إضافة إلى تلك الخرافات و البدع التي من المجتمع الجزائري ،خاصة بعد و فات مؤسسو هذه الطرق و تشيخها خلفهم الذين لم يكونوا على قدر المسؤولية ،ولم يواكبوا العصر و التطور الذي وصل إليه العالم ،و اكتفوا بمؤلفات أشياخهم،فساد الخمول في الوسط الاجتماعي الجزائري ،و انتشرت البدع و الخرافات ،هذا ما أثار خفيضة علماء الجزائر ،واتفقوا على إنشاء جمعية العلماء المسلمين المناهضة لهذا التخلف ،و المطالبة بالإصلاح و النهوض بالمجتمع الجزائري إلى ما هو أفضل،منتقدتا تلك الأفكار الصوفية هذا ما أدى لدخول الطرفين في علاقة غلب عليها التوتر و التنافر ،و قل فيها التفاهم و الاتفاق .

الفصل الثالث :دور جمعية العلماء المسلمين في محاربة الانحرافات الطرقية.

المبحث الأول :مظاهر الخلاف بين جمعية العلماء و الطرق الصوفية.

تمهيد

إذا كان الاختلاف في الرأي اشد ما يكون حول المتصوفين من يمدح التصوف و يدعو إليه وبين من ينبذه و ينفر منه ، فان الطرق الصوفية في الغالب ليست موضوع جدل ، إذ جل الحركات الإصلاحية و الدعوات التجديدية في العالم الإسلامي تتفق على نبذ انحرافات الطرق، و اشد هذه الحركات الإصلاحية التي كانت حربا على مفاسد الطرقية هي الحركة الوهابية ثم الحركة الإصلاحية الجزائرية و قبل الحديث عن مظاهر الخلاف بين الجمعية و الطرق الصوفية لا بد من الحديث أولا عن البدعة و حقيقة الطرق الصوفية عند جمعية العلماء .

1-**البدعة لغة و اصطلاحا:**

1-1-**البدعة لغة:**أصل الكلمة من الفعل بدع، يقال بدعه بدعا، أي أنشاه على غير مثال سابق فهو بديع للفاعل و المفعول[1] فالله عز و جل بديع السماوات و الأرض ، أي خالقها و منشأها ، و الإبداع إنشاء صنعة بلا اقتداء و منه قيل ركية بديع أي جديد الحفر و البدعة [2]و يقال ابتدع فلان بدعة يعني ابتدأ طريقة لم يسبق إليها سابق و هذا أمر بديع ، يقال في الشيء المستحسن الذي لا مثال له في الحسن فكأنه لم يتقدمه ما هو مثله و لا ما يشبهه ، و من هذا المعنى سميت البدعة بدعة فاستخراجها للسلوك عليها هو الابتداع و هيئتها هي البدعة . [3] و من هنا فالبدعة هي كل شيء مخترع على غير مثال تقدمه.

1-2-**البدعة اصطلاحا:** تطلق البدعة في الاصطلاح على ما يخالف سنة النبي صلى الله عله و سلم و إلى هذا الرأي ذهب ابن لجوزي إذ رأى أن المبتدع يزعم انه من أهل السنة و هو مخالف للآثار النبي و أثار أصحابه. [4] ثم عرف البدعة :عبارة عن فعل لم يكن فابتدع ، و الأغلب في المبتدعات أنها تصادم الشريعة الإسلامية بالمخالفة و توجد التعاطي عليها بالزيادة أو النقصان ، فان ابتدع شيء لا يخالف الشريعة و لا يوجد التعاطي عليها فقد جمهور السلف يكرهونه و كانوا ينفرون من كل مبتدع و أن كان جائزا حفظا للأصل و هو الأتباع[5] فهذا التعريف يفيد أن أصل العمل بالسنة هو الإتباع و الموافقة

1- إبراهيم أنيس و آخرون: المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية، مطابع دار المعارف مصر، ط 2، جزء 1، ص 43.

2- أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق و ضبط محمد سيد كيلاني: المفردات في غريب القران، دار المعرفة، بيروت، ص ص 38-39.

3- الشاطبي ضبطه و صححه احمد عبد الشافي: الاعتصام، دار شريفة، ج 1، ص 27.

4- جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمان ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ص 32.

5- المصدر نفسه، ص ص 32-33.

للشريعة و إن أصل البدعة هو أحداث ما لم يكن في الدين بالزيادة أو النقصان بحيث صار مخالفا للشريعة مذموما و أما إذا كانت المبتدعات مما لا يخالف الشريعة فهي ليست مذمومة[1] فأما ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قيام شهر رمضان على إمام واحد في المسجد " نعمة البدعة هذه " فان ابن رجب الحنبلي يقول بان ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية فهذا الفعل لم يكن على هذا الوجه قبل هذا الوقت و لكن له أصل في الشريعة يرجع إليها منها أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يحث على قيام شهر رمضان و يرغب فيه ، و كان الناس في زمنه يقومون في المسجد جماعات متفرقة و وحدانا، و هو صلى الله عليه و سلم صلى بأصحابه في رمضان غير ليلة ثم امتنع عن ذلك معللا بأنه خشي أن يكتب عليه فيعجز عن القيام به و هذا قد امن بعده صلى الله عليه و سلم[2]، و يرى ابن أثير أن جمع عمر للناس على صلاة التراويح و إن سماها عمر بدعة هي في الحقيقة سنة لقوله صلى الله عليه وسلم "فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين "و قوله "أنني لا ادري ما قدر بقائي فيكم .فاقتدوا بالذين من بعدي و أشار إلى أبي بكر و عمر " ،و على هذا التأويل يقول ابن الأثير انه كل ما خالف أصول الشريعة و لم يوافق السنة فهو بدعة. [3]

و قد قسم ابن الأثير البدعة إلى نوعين بدعة الهدى و بدعة ضلال،فما كان في خلاف ما أمر الله به و رسوله صلى الله عليه وسلم فهو في حيز الذم و الإنكار ،و ما كان واقعا تحت عموم ما ندب الله إليه أو رسوله فهو في حيز المدح . [4]

و يعرف ابن باديس البدعة ،إذ يقول :البدعة كل ما احدث حتى انه عبادة و قربة و لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فعله و كل بدعة ضلالة . [5]

حقيقة الطرقية و حكمها عند الجمعية

إن المتأمل في مبنى الطرقية و جوهرها و هو التصوف ،يجد انه نزعة روحية تقوم على نظرة معينة للدين و الدنيا و الغاية من وجود الإنسان ،وان المتأمل في مراتب التسليك الصوفي ودرجات الترقي الروحي،المعبر عنها بالمقامات و الأحوال ،لا يملك إلا أن يستنتج أن الطريقة الصوفية تضع للمريدين منهجا في التدين.هذا الاستنتاج هو أن الطريقة الصوفية تضع للمريدين منهجا في التدين ،هو ما تثبته جميع الطرق الصوفية وتفتخر به ،لكنها تنسبه إلى الدين وتشبه طرقها بالشرع الإسلامي الخاتم ،وهذه

1- أبو بكر محمد ابن الوليد الطرطوشي، ضبط و تعليق علي بن حسن: كتاب الحوادث و البدع ،دار ابن الجوزي للنشر و التوزيع ، السعودية، ط 2، ص 108.

2- ابن رجب الحنبلي إعداد معروف زريق: جامع العلوم و الحكم، دار الجيل ، بيروت ، ط 1، ص 415.

3- مجد الدين المبارك ابن محمد الجزري ابن الأثير تحقيق ظاهر احمد الزاوي، محمود محمد الطناحي: النهاية في غريب الحديث و الأثر ، دار الفكر للطباعة و النشر ، بيروت، لبنان، ص ص 106-107.

4- المصدر نفسه ، ص 106.

5- عمار ألطالبي ابن باديس حياته و أثاره: ج3، مصدر سابق، ص 132.

الحقيقة هي التي انتزعها علماء الجمعية من الطرقيين فقد أشار الإبراهيمي إلى ذلك ،في سياق بيان مراتب النقد التي تم بها الكشف عن ضلال الطرق فقال :وذلك أننا لما أنكرنا عليهم باطلهم الذي يرتكبونه باسم الدين ،زعموا أن الطريق هي الدين ،و لما نقضنا لهم هذه الدعوة تنزلوا فزعموا أن لها حبلا واصلا بالدين وسند بالسلف ،ولما بينا لهم أن الحبل مقطوع وان السند منقطع قال وان هذه الطرقية مرت عليها قرون ولم ينكرها العلماء ،فبينا لهم أن عدم إنكار العلماء الباطل لا يصيره حقا و مرور الزمن عليه لا يصيره حقا . [1]

وهذه الحقيقة هي التي عبرت عنها الطريقة التيجانية أوضح تعبيرا :فمن حيث ادعاء الطريقة حق التشريع قولهم على لسان الشعراني :"ثم إن العبد إذا دخل طريق القوم و تبحر فيه أعطاه الله هناك قوة الاستنباط نظير الأحكام الظاهرة على حد سواء،فيستنبط في الطريق واجبات و مندوبات و محرمات و مكروهات و خلاف الأولى نظير ما يفعله المجتهدون و ليس إيجاب مجتهد باجتهاده لم تصرح الشريعة بوجوبه أولى من إيجاب ولي الله حكما في الطريقة لم تصرح الشريعة بوجوبه"[2]

وأما من حيث ادعاء الطريقة التيجانية أنها أخر الطرق مشابهة بالإسلام الذي هو خاتم الأديان فقالو في سبب تسمية هذه الطريقة بالاحمدية المحمدية الإبراهيمية الحنيفية التجانية "إن طريقته هي أخر الطرق فلا يأتي ولي بعده بطريقة جديدة كما أن ملـــته صلى الله عليه وسلم آخر الملل. [3]

وأما من حيث مشابهتها للإسلام في إبطال جميع الأديان فقالوا:"إن طريقتهم تدخل على جميع الطرق فتبطلها.كما أن شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل على الشرائع ولا يدخل على شريعتهم" و ما يمكن أن نقوله هو أن أشياخ الطرائق قد وضعوا من عند أنفسهم شرعا متبعا، زعموا انه الشرع الإسلامي الذي جاء في الكتاب و السنة، وأحاطوه بكل مظاهر القداسة و الحصانة التي هي للوحي المنزل. و أوهموا الناس بان الطرق هي الدين في رسومها وشعائرها وغاياتها. [4]

قال ابن الجوزي :"من أقبح الأشياء أن الصوفية ينفردون بسنن ، لأنها إن كانت منسوبة إلى الشرع فالمسلمون كلهم فيها سواء و الفقهاء اعرف بها، فما وجه انفراد الصوفية بها و إن كانت بآرائهم فإنما انفردوا بها لأنهم اخترعوها، و يمكن أن نستدل على ذلك بما جاء في كتاب الاعتصام في باب ذم البدع من جهة النظر و النقل الشرعي العام كما يلي :

---

[1]- سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: مصدر سابق، ص 37.

[2]- عمر بن سعد ألفوطي، على هامش جواهر المعاني و بلوغ الأماني في قبض سيدي أبي العباس التجاني: رماح حزب الرحيم على نحو حزب الرجيم، دار الجيل، بيروت، ج 2، 1988، ص 149.

[3]- مصدر نفسه ، ص 154.

[4]- أبو الفرج عبد الرحمان ابن الجوزي : مصدر سابق ، ص 189.

-إن الشريعة جاءت كاملة لا تحتمل الزيادة و لا النقصان لان الله تعالى قال " اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الاسلام دينا" المائدة (3) .

-إن المبتدع قد نزل نفسه منزلة المضاهي للشارع لان الشارع وضع الشرائع و ألزم الخلق على سننها و صار هو المنفرد بذلك، لأنه حكم بين الناس فيما كانوا فيه مختلفون، و هذا الذي ابتدع في دين الله قد صير نفسه نظيرا أو مضاهيا لله حيث شرع مع الشارع، و فتح للاختلاف بابا و ردّ قصد الشارع في الانفراد بالتشريع. [1]

أما حكم الجمعية على الطرقية فهو واضح و صريح، فقد جاء في دعوة جمعية العلماء و أصولها أن " الأوضاع الطرقية بدعة لم يعرفها السلف و مبناها كلها على الغلو في الشيخ و التحيز لإتباع الشيخ و خدمة دار الشيخ و أولاد الشيخ."

أما الإبراهيمي الذي يرفض التصوف فقد اعتبر الطرق مبتدعة في الاسلام[2] و تحدث في سياق رده على الذين أنكروا على جمعية العلماء ، اعتراضها على الطرق الصوفية و شيوخها المحدثين و القدماء عن الميزان الذي توزن به الأعمال فقال: و نحن إذ ننكر الفاسد من الأعمال، و الباطل من العقائد، سواء علينا أصدرت من سابق أم لاحق و من حي أم من ميت ، لان الحكم على الأعمال لا على العاملين، و ليس صدور العمل الفاسد من سابق بالذي يحدث له حرمة أو يصيره حجة على اللاحقين ، بل الحجة لكتاب الله و لسنة رسوله ، فلا حق في الاسلام إلا ما قام دليله منهما و اتضح سبيله من عمل الصحابة و التابعين لهما أو إجماع العلماء بشرطه على ما يستند عليه. [3]

كما جمع ابن باديس جملة من نصوص العلماء المتقدمين في الإنكار على المدعين المتعيشين على بدع ، قامعا لشبهة المتأخرين في عدم إنكار العلماء المتقدمين على أمثالهم من المتسمين بالفقراء ،المدعين لطريقة الزهد المتصفين بالبدعة[4]، و في ذكر نصوص من حكم ببدعية الطريقة الصوفية بما يأتي:

-قال صاحب منشور الهداية:" فلما رأيت الزمان بأهله تعثر و سفاء النجاة من أمواج البدع تتكسر ، و سحائب الجهل قد أضلت و أسواق العلم قد كسدت ، فصار الجاهل رئيسا و العالم في منزلة يدعى من اجلها خسيسا ، و صاحب أهل الطريقة قد أصبح و أعلام الزندقة على رأسه لائحة ، و روايح السلب و

1- ألشاطبي: مصدر سابق، ص ص 37-38.
2- عمار ألطالبي: ابن باديس حياته و أثاره، ج 3، ص 133.
3- سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، مصدر سابق، ص 36.
4- عمار ألطالبي: ابن باديس حياته و أثاره، ج 3، ص 42.

الطرد من المولى عليه فائحة...و ربما صارت الطائفة البدعية مقطعا للحقوق و قسما يقسم به في البر و العقوق ...". [1]

و نخلص إلى القول بان حكم الجمعية على الطرقية بأنها بدعة يعتبر حكمها جريئا كان له ثقله على مستوى البعد الديني في الواقع الجزائري آنذاك و هو يعبر عن ثورة ضد كل سلطة كهنوتية تريد أن تحتكر الدين و الدنيا باسم الله أو باسم الشيخ.

[1]- عبد الكريم الفكون، تقديم و تحقيق و تعليق أبو القاسم سعد الله: منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم و الولاية ، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1987-، ص ص 31-32.

المطلب الأول:محاولة اغتيال الشيخ عبد الحميد بن باديس:

كانت الحملات في الصحافة الإصلاحية و خاصة في الشهاب متوالية على الخرافات و الأباطيل ،و على المبتدعة و المضللين ،واشترك في الكتابة جموع العلماء و المفكرين في الجزائر و تونس و المغرب و كان من أشدهم عنفا على الطريقة العليوية و شيخها المتهم بالحلول ووحدة الوجود [1]،فحاول العليويين معرة هذا الكتاب ولكن إدارة الشهاب أبت الكشف عنه ،كما أن الشيخ ابن باديس ألف رسالة علمية يرد فيها على الشيخ ابن عليوة لسوء أدبه مع النبي ،و على بعض شطحاته الحلولية المنافية للعقيدة الإسلامية ولأهمية هذه الرسالة قرضها أهم كبار علماء الجزائر و تونس و المغرب .

وهكذا تحرك غيض العلويين ،فقرروا الفتك بابن باديس . [2]

وفي هذا يقول احمد حماني في كتابه "صراع بين السنة و البدعة"يقول على لسان احد الحاضرين في حادثة الاغتيال التي اقرها العليويين ضد الشيخ الإمام فيقول:

في الرابع عشر من ديسمبر 1926 09جمادى الأخيرة 1345 وقعت محاولة اغتيال شنيعة كادت تودي بحياة الأستاذ الإمام من طرف احد المجرمين المنتسبين لإحدى الطرق الصوفية الغلاة بالجزائر ،باعاز من الإدارة الفرنسية التي ضاقت درعا بنشاط الأستاذ في الميدان الإصلاحي و الوطني و كانت تعتمد بالدرجة الأولى على بعض الطرق و الزوايا ،وتحرص على هؤلاء الأنصار (الأحباب) في دعم نفوذها و الحفاظ على سمعتها و تحميهم من حركة الإصلاح التي كانت تحارب البدع و الخرافات التي الصقوها بالإسلام ،وجعلوا منها طقوسا جافة ميتة ،كما جعلت منهم أداة طيعة في يد أعداء الوطن والإسلام[3] الصحيح ،فاتفقت مصلحة هؤلاء و أولئك على التخلص من هذه الحركة الجادة وذلك بالقضاء على قائدها ورائدها الأستاذ الإمام ،فتآمروا على اغتياله و كلفوا احد أولئك المخدرين من حثالة الزوايا ،وزودوه بالمال و (البركة) ودعوه الخير

جاء هذا المجرم من مدينة مستغانم ،وركب من الجزائر ،كما دلت عليه بطاقة السفر وترّصد ليلا الشيخ في التاريخ المذكور في طريقه إلى منزله ،بعد درس التفسير ، وبينما كان الشيخ يسير في غفلة متلفعا ببرنوسه ،في طريق ضيقة و دروج وعرة و إذا به يفاجأ بهراوة تقع على رأسه ثم على صدغه،و هنا تتداركه الألطاف الإلهية وتنشله من براثين هذا الوحش الهائج وتبعث في الأستاذ قوة خارقة للعادة ،فينبري للدفاع عن نفسه في شجاعة و إيمان ،و يمسك بصاحبه الضخم الجثة وكأنه عصفور صغير

1- عبد القادر فضيل ،محمد الصالح رمضان:إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس،دار الأمة للطباعة و النشر و الترجمة ،الجزائر،1998،ص39

2-.محمد الصالح الصديق :المصلح المجدد الإمام ابن باديس لهذا حاولوا اغتياله ،ديوان المطبوعات الجامعية ،بن عكنون ،الجزائر ،2009،ص117

3- احمد حماني:صراع بين البدعة و السنة، ج1، ص88

ويصعد به عدة درجات بمكان ضيق حتى أوصله إلى الطريق العام ،و يصيح مستنجدا فيبلغ صوته إلى جماعة كانت جالسة بمكان قريب منه فيهرعون إليه مستصرخين نحن هنا ،نحن معك شيخ . [1]

أما المجرم فقد استطاع أن ينفلت و يلوذ بالفرار،والى أين ؟إلى سقيفة منزل الشيخ ،ولعله كان ينوي الإجهاز عليه بطعنة سكين كانت معه ،ولكن خاب ظنه و خذلته (بركة)الزاوية فعثروا عليه هناك وكادوا يفلكون به ،لولا تدخل الشيخ الذي قال لهم دعوه لا تمسوه بسوء ،فليس الذنب ذنبه ،فما هو إلا صخرة مرسلة وآلة مستعملة ، وقد شاع الخبر بسرعة في البلد فجاءت الجموع تستطلع الخبر وتتأكد من حياة الأستاذ ،و طلبوا منهم رؤيته ،ولكن الأهل الشفقين منعوهم من الدخول حسب أوامر الطبيب وحرصا على راحة الأستاذ الذي كان في شبه إغماء متأثرا بما أصابه .وبلغ الخبر إلى طلبته فجاءوا ليه من مسرعين ،منتعلا و حافيا ،وقد أصابهم الهلع و الحزن ،حتى بلغوا منزل الشيخ و طلبوا رؤيته فمنعوا من ذلك و لكنهم أصروا على ضرورة رؤيته ،فوصل ضجيجهم إلى مسامع الأستاذ فأذن لهم بالدخول وكنت منهم (راوي القصة). [2]

دخلنا فقابلنا بابتسامة لطيفة و قال:"أتذكرون دروسنا الليلة في تفسير قوله تعالى:"لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون".فقلنا:نعم والحمد لله على سلامتك، و الله ولينا ووليك وانه لنعم المولى ونعم النصير.

كنا ننظر إليه و الدم يضرح جبهته وهم يمسحونه ،وهنا نطق احد تلاميذه،قال :بلغنا يا سيدي انك منعت الناس من ضرب المجرم فقال :نعم لأنه لم يكن الذنب ذنبه ،فقال التلميذ:"والله العظيم لو كنت حاضرا ورايته لقتلته ولما سمعت لنهيك ،فضحك الأستاذ وكان هذا التلميذ نفسه من أبناء الزوايا..."

و سألناه كيف وقعت الحادثة؟ فاخبرنا انه اشتبك معه في الدرج بعدما أصابته ضربة الهراوة واستطاع ان يحمله و يصعد به الدرج الضيق إلى الطريق العام .

ثم قال:أتدرون كيف تغلبت عليه ؟فقلنا :هي أعجوبة .قال :الأمر هين ،الرجل بدوي لا يعرف المشي على الدرج خصوصا الضيق منها ،أما أنا فاني متعود عليه ،فهذا هو السر كما ترون ،لكنه في الحقيقة لم يكن كل السر ،وإنما هي عناية الله و حفظه لأوليائه كما نطقت الآية:"وهو وليهم".ثم خرجنا مودعين من طرفه سائلين له الشفاء والعافية ،وأعيننا دامعة وقلوبنا دامية واذكر انه لم ينم احد منا في تلك الليلة بل قضينا ليلتنا في الكلام على الحادثة و التعليق عليها. [3]

1- احمد حماني: مصدر سابق، ص 98.
2- نفس المصدر ، ص 99.
3- نفس المصدر ص 100.

ومن باب وسائل الإعلام كتبت الشهاب في عددها 78الصادر في رجب 1345 –جانفي 1927 مقال تحت عنوان "حول حادثة الفتك العلوية":وردت في الإدارة كتب عديدة في السؤال عن صحة الأستاذ و سير النازلة ،فأما سير النازلة فان الجاني قد اعترف بان السبحة و الدبوس والموسى له وانه احد العلويين وأنكر جميع ما نسب إليه.

وقد أدى الأشخاص الأربعة الذين كانوا أول من قبض عليه في سقيفة دار الأستاذ شهادتهم ،وكذلك جار الأستاذ الذي جاءه الجاني واثنان معه كانوا يسالون عن محل سكن الأستاذ .

أما الجاني العليوي فقد مثل إمام محكمة الجنايات بمدينة قسنطينة يدافع عن جنابته محام يهودي ،و أصدروا عليه حكما بالإدانة و عين له خمس سنوات يقضيها في السجن المضيق . (1)

وبالرغم من هذا فقد تواصلت التعديات على الشيخ مرارا و تكرارا لكن دائما كانت نصرة الله هي القوى ،و نجت الإمام من تلك المحاولات الدنيئة.

[1]- مجلة الشهاب ، ع 78، الصادرة في رجب 1345/ جانفي 1927. ص 111.

المطلب الثاني :نقد معتقدات الطرق الصوفية:

يعتبر المصلحون أن الطرق الصوفية هي "بدعة لم يعرفها السلف، و مبناها كلها على الغلو في الشيخ، و التحيز لأتباع الشيخ، و خدمة دار الشيخ و أولاد الشيخ، إلى ما هنالك من استغلال، و من تجميد للعقول، و اماهة للهمم و قتل للشعور".[1]

و إن هذه الطرق برأيهم، أدت، ببنيتها و سلوكها، إلى " إحداث وثنية في الاسلام"[2] لإتباعها طقوسا خاصة بعيدة عن أصالة الدين الصحيح، مثل الخلوة و التوسل و البركة، و يهاجم البشير الإبراهيمي هذه الطقوس التعبدية بقوله: "القوم عارفون بالله، و إن لم يدخلوا كتابا، و لم يقرؤا كتابا، و كل من ينتسب إليهم عارف بالله بمجرد الانتساب أو بمجرد اللحظة من شيخه، و قد كان قدماؤهم يتخذون من مراحل التربية مدارج للوصول إلى معرفة الله في ما يزعمون ، و في ذلك تطويل للمسافة ، و إشعار بان المطلوب شاق ، جاء الدجال ابن عليوة و إتباعه بالخاطئة فادخلوا تنقيحات على الطريق .... و من تنقيحا تهم تحديد مراحل التربية (الخلوية) لمعرفة الله بثلاثة أيام (فقط لا غير) تتبعها أشهر و أعوام في الانقطاع لخدمة الشيخ من سقي الشجر، و رعي البقر، و حصاد الزرع، و بناء الدور، مع الاعتراف باسم الفقير، و الاقتصار على أكل الشعير. و لئن سألتهم لم نزلتم مدة الخلوة إلى ثلاثة أيام ليقولن فعلنا ذلك مراعاة لروح العصر الذي يتطلب السرعة في كل شيء ، فقل لهم قاتلكم الله، و لم نقصتهم مدة الخلوة و لم تنقصوا مدة الخدمة أيها الدجاجلة؟"[3]

أما التوسل فقد اعتبره، العلماء شركا بالله، و نددوا بمن يدعي انه يملك قدرات خاصة (فيتصف بأوصاف الربوبية، فهو الذي يعطي، و هو الذي يمنع ، و هو الذي يقبض ، و هو الذي يبسط ، هو منبع كل خير و مصدر كل شر) [4] ، و في ذلك يقول بن باديس:" و احذروا كل من يريد أن يقف بينك و بين ربك، و يسيطر على عقلك و قلبك و جسمك و مالك بقوة يزعم التصرف بها في الكون.)

و يتهم العلماء الطرق بأنها خرجت في دعوتها الصوفية عن الدين الاسلام ، عندما ادعت الطريقة التيجانية على لسان مؤسسها احمد التيجاني(المولود سنة 1150هـ) بان النبي أمره بتلاوة الصلاة التالية: " اللهم صل على محمد الفاتح لما أغلق، الخاتم لما سبق، الناصر الحق بالحق و الهادي إلى صراطك المستقيم و هي المسماة صلاة" الفاتح" عند التيجانية ، و يدعي التيجاني بان النبي اخبره بان تلاوة "المرة الواحدة منها تعدل من القران ست مرات...و تعدل من كل تسبيح وقع في الكون و من كل ذكر و من كل

---

[1]- الشهاب، ج 4، م 13، جوان 1937، مصدر سابق، ص 178.
[2]- احمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، ص 351.
[3]- البشير الإبراهيمي: سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، مصدر سابق، ص 243.
[4]- احمد توفيق المدني: مصدر سابق، ص 351.

دعاء كبير أو صغير ، و من القران ست آلاف مرة." و يدعى التيجاني أيضا بشان فضائل" صلاة الفاتح" : "بان الصلاة عليه صلى الله عليه و سلم مرة تعدل ثواب أربعمائة غزوة، كل غزوة تعدل أربعمائة حجة" و انه يحصل له بفضلها "إذا صلى بكل صلاة وقعت في العالم من كل جن و انس و ملك ستمائة ألف صلاة من أول العالم إلى وقت تلفظ الذكر بها ، أي كأنه صلى بكل صلاة ستمائة ألف صلاة من جميع المصلين عموما ملكا و جنا و إنسا." [1]

و يرد ابن باديس على هذا الادعاء بقوله :"أن صلاة الفاتح من كلام المخلوق ، و من اعتقد أن كلام المخلوق أفضل من كلام الخالق فقد كفر" و يستدل على ذلك بالآيات القرآنية و الأحاديث النبوية . [2]

نقد التنظيم الهيكلي للطريقة :

هاجم العلماء الترتيبات التنظيمية داخل الطرق الصوفية التي بنت العلاقات الدينية فيها على أساس نظام هرمي "لا وجود له في الكتاب و السنة، شبيه إلى حد ما بالنظام الكهنوتي، فتجد في قاعدة الهرم "الإخوان" و في أعلاه شيخ الطريقة و بينهما مجموعة من رجال الطريقة يقومون بوظائف دينية خاصة ثم تعيينهم من طرف الشيخ صاحب السلطتين الدينية و الدنيوية." [3] و يرى العلماء بان هذه القواعد التي تلتزم بها الطرقة في نظامها تقوم أساسا على مبدأ الخضوع اللامشروط للشيخ،الذي تطلق عليه ألقاب تتصف بها الذات الإلهية مثل "مولانا" و " سيدنا" و أصبح " صاحب شيخ الطريقة، أو صاحب الضريح، اكبر مكانة في نفس السواد المغفل، من الله"

نقد المظاهر الاجتماعية الناشئة عن الطرقية:

يرى العلماء أن اخطر ما نتج عن الطقوس الطرقية، انقسام الأمة على نفسها فبدل التساوي في الكرامة و الحقوق و الواجبات ، انقسم المجتمع إلى مشايخ و مقدمين و إخوان ، و بدل الأخوة بين كافة أعضاء المجتمع عم التحزب و التعصب لتعدد الطرق و اختلافها فيما بينها فهناك من يناصر القادريين و غيرهم، و أصبحت "أخوة" الطريقة "تفرض عليهم أن يبغضوا كل من لم يتصل معهم بحبل الشيخ و ينابذه، و لا يجتمعوا معه و لو في العبادات الشرعية".[4]

1- علي حرازم ابن العربي برادة: جواهر المعاني و بلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجانية، المكتبة التجارية الكبرى، ج 1 ، القاهرة ، ص 136.
2- الشهاب، جزء 7، م 14، سبتمبر 1938، ص 49.
3- محمد قورصو: تأسيس و نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في عمالة وهران، رسالة لنيل شهادة دراسات المعمقة في التاريخ، جامعة وهران، 1977، ص 96.
4- البشير الإبراهيمي: سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، مصدر سابق، ص 26.

نقد النزعة الاستغلالية لدى مشايخ الطرق:

و يتهم العلماء أيضا مشايخ الطرق بأنهم ابتدعوا عادات "الزيارات" و "الهدايا" التي تتطلب واجبات مالية و عينية و بذلك استجلبوا الزكاة لأنفسهم ،و سخروا لمصالحهم الخاصة بعض العادات الاجتماعية و الاقتصادية ،مثل التويزة و المعونة فكان حق الشيخ كما يقول الإبراهيمي قبل حق الزوجة و الأولاد ،و الآباء والأجداد ،وحق الشيخ في المال قبل حق الفقير المسكين. [1]

أما وجهة نظر الطرقيين فتتلخص فيما يلي :

1-رفض دعوة العلماء لتعليم الفتاة تعليما عصريا ،إذ أن التعليم في نضرهم يسيء إلى سلوكها وان ما يمكن أن تتعلمه فقط هو بعض الآيات القرآنية ثم يوجهن بعد ذلك نحو بيوتهن للقيام بالأشغال المنزلية.

2-نقد التعاليم التي جاء بها العلماء، كمنع زيارة الأضرحة،و المقابر و الصلاة وراء الميت .

3-رفض دعوة العلماء المطالبة بفصل الشؤون الدينية عن الدولة ،و تسليم المساجد و الأوقاف لجمعية دينية وطنية ،وتعبر مجلة (المرشد)لسان حال الطريقة العليوية عن هذا الرفض بقولها :"فانه لاشك ولا ريب أن الاحباس (الأوقاف) الجزائرية إذا تجردت عن الحكومة فلا تقوم بأكثر ما تقوم به غيرها ...وعليه فمن الحكمة و السداد إن تبقى الاحباس بيد الحكومة ،ولا نشترط إلا أن تكون تسمية الموظفين الدينيين بيد الجمعية الدينية التي ينبغي تشكيلها بمعية إدارة كل نائب متصرف العمالة " وتقول المجلة أيضا :"أن صلواتنا و عقائدنا بخلاف الشيخ الإبراهيمي ،فهو زيادة على انه يريد أن يحتكر علينا أموال الاحباس و يتصرف فيها كما يريد ،فهو يهوى أن يحتكر معها أيضا عقيدة الأمة و صلواتها ،وشاهدنا على ما ذكرناه ،فهو لا يستعمل معلما بمدرسته الإصلاحية إلا إذا كان على العقيدة الوهابية و المشرب الإصلاحي من لعن الصالحين و تسفيه عقيدتهم [2].

---

[1]- البشير الإبراهيمي: سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، مصدر سابق، ص 27.

[2]- احمد توفيق المدني: المصدر السابق، ص 113.

المطلب الثالث :جمعية علماء السنة الجزائريون

تأسست هذه الجمعية رسميا بتاريخ 15 سبتمبر 1932 و كان الساعي إليها بصورة رئيسية الشيخ المولود ألحافظي، الرجل الذي وصفه على مراد بأنه معقد و متقلب[1] فهو لم يكن راضيا بصفته عضوا مستشارا في المجلس الإداري للجمعية المنتخب عام 1931، لذلك اتخذ جانب المعارضة للحركة الإصلاحية، و كان خلال وجوده في المجلس يمثل و جهة نظر الطرقيين.

و بعد فشل الطرقيين في انتخابات المجلس الإداري للجمعية في يوم 23 ماي 1932 اثر مقاطعته لها عندما تبين لهم عجزهم عن تامين الأغلبية ، و راحوا يدعون إلى إنشاء جمعية منافسة لجمعية العلماء، فكانت جمعية علماء السنة التي جمعت رؤساء الزوايا و الموظفين الدينين المسلمين في الإدارة الحكومية ، و قد لوحظ أن أهدافها كانت قريبة بعض الشيء من أهداف جمعية العلماء، و تتلخص أهم بنودها فيما يلي:

1-جمعية إسلامية تعليمية و خيرية.

2-تمتنع هذه الجمعية عن الخوض في الأمور السياسية و عن كل ما يمكن أن يثير الاضطراب بين الفئات الدينية و العصبية.

3-تهدف الجمعية إلى إحياء السنة و التقاليد الدينية و نشر الفضيلة و التمسك بالأخلاق وفقا لما جاء في الكتاب و السنة، و تعاليم المذاهب الأربعة، و مبادئ الفقه و التصوف، و الدين الإسلامي. [2]

و يلاحظ هنا أن جمعية علماء السنة اعتبرت التصوف مصدرا من مصادر الأخلاق و الدين، و هذا ما يتنافى مع مبادئ جمعية العلماء الإصلاحية.

و لكي تناهض جمعية علماء السنة أعلام الحركة الإصلاحية التي كانت تبثه جرائدها في ذلك الوقت مثل" الشهاب" و "المرصاد" أصدرت بتاريخ 14 ديسمبر 1932 جريدة" الجريدة" التي اشرف عليها مباشرة عمر إسماعيل و المولود ألحافظي، يعاونها محمد العاصمي، و أخذت تسدد هجماتها على بن بأديس و أنصاره تساندها في ذلك جريدة" البلاغ" لسان حال الطريقة العليوية بزعامة احمد بن عليوة" المستغانمي"[3].

و شهدت السنتان 1932-1933، تراشقا صحفيا عنيفا و اتهامات متبادلة بين الفريقين ، وصلت إلى حد المهاترات السخيفة و الكلمات البذيئة التي ظهرت بصورة رئيسية بين "المرصاد" الإصلاحية التي

1- علي مراد : الإصلاح الإسلامي في الجزائر ، ص 131.
2- نفس المصدر ، ص 146.
3- نفس المصدر ، ص 146.

كان يصدرها محمد عبابسه الاخطري من جهة ، و "الإخلاص" و "البلاغ" من جهة أخرى[1] و يبدو أن "الشهاب" التي كان يصدرها بن باديس في قسنطينة اتبعت في ردها على تهجمات الطرقيين ، الأسلوب العلمي الرصين.

و لعل احتدام الصراع تطلب نجدات صحفية جديدة، فاصدر الطرقيون جريدة " "المعيار" التي اشتهرت ببذاءتها و سفاهتها، فقابلها المصلحون بجريدة اشد باسا هي "الجحيم"[2]

شعر الطرقيون أنهم في صراعهم ضد الإصلاح استنفدوا كل أسلحتهم و أنهم لم يعودوا قادرين وحدهم على الوقوف في وجه جمعة العلماء التي كانت تنشط بشكل ملحوظ، فحاولوا العودة إلى التفاهم معها، و وجهت جريدة " الإخلاص" في شهر ماي 1933 دعوة إلى الوفاق، و لكن جمعية العلماء كانت قد انطلقت في طريق الدعوة الإصلاحية، و لم بإمكانها العودة إلى الوراء والتخلي عن مبادئها . [3]

1- احمد توفيق المدني: حياة كفاح، القسم الثاني، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ص 223.

2- احمد توفيق المدني: حياة كفاح، القسم الثاني، ص 230.

3- على مراد: مصدر سابق، ص 146.

المبحث الثاني:نتائج جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مقاومة الانحرافات الطرقية

نحاول أن نتعرف في هذا العنصر عن أهم نتائج الجهود التي بذلتها الجمعية في القضاء على الانحرافات الدينية و الطرقية ،وكذلك عن مدى النجاح الذي حققته في مجال الإصلاح .

- المطلب الأول:تجديد العقيدة

لقد وصلت الجزائر إبان حقبة الاحتلال الفرنسي إلى دركة دنيا من الانحطاط الديني و الفكري و الأخلاقي ،وأوشكت على الفناء بفعل رواسب التخلف و الجمود الموروثة منذ سقوط دولة الموحدين من جهة ،وبفعل سياسة المسخ الاستعماري لمقومات الشخصية الجزائرية والتي عملت على اجتثاثها من جذورها الحضارية الإسلامية من جهة أخرى .وقد كانت جمعية العلماء أكثر الحركات الوطنية وعيا بخطورة هذا الوضع ،فعملت على تثبيت دعائم الإصلاح الشامل لأوضاع الجزائريين في جميع المجالات. وقد كان تجديد عقيدة الجزائريين أول ركائز هذا الإصلاح ثم أهم ثمار تلك الجهود المتواصلة في ميادين التربية و التعليم والوعظ و الإرشاد ومقاومة الانحرافات المختلفة.

وان تجديد العقيدة الإسلامية يعني إحيائها و ذلك بالعودة في فهمها إلى مصادرها الأولى واضحة نقية ،خالية من شوائب الابتداع و الانحراف ،فعالة في توجيه النفوس و إصلاحها .ويمكن أن نتحدث عن هذا التجديد للعقيدة فيما يلي:

نقد علم الكلام :

أن نشأة علم العقيدة أو علم الكلام كانت مرتبطة كانت مرتبطة بواقع حياة المسلمين ،وكانت استجابة لتحديات داخلية تمثلت في مشكلات سياسية و اجتماعية بسبب أثار الفتنة الكبرى[1] و سقوط الخلافة الراشدة و تحول الحكم إلى ملك عضوض و تحديات خارجية تمثلت في احتكاك المسلمين بشعوب الحضارات القديمة التي أخذت قناتها تروج أفكار دينية و فلسفية باتت تهدد بنية العقيدة الإسلامية فاندفع الفكر الاسلام لمعالجة التوتر في البيئة الإسلامية، إلى الدفاع عن مرجعيته العقدية و صياغتها صياغة تنظيرية و كان منهج الاستدلال على قضايا العقيدة الإسلامية، يقوم أساسا على الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية استخداما للمنطق الصوري و تفننا في استعمال اقييسته و أشكاله .

أما ابن باديس فيعتبر انبهار علماء الكلام بالاستدلال العقلي و الاسترسال وراء مصطلحاهم مظهرا من مظاهر هجر القران فقد بسط القران عقائد الإيمان كلها، بادلتها العقلية القريبة القاطعة فهجرناها و قلنا تلك أدلة سمعية لا تحصل اليقين، فأخذنا في الطرائق الكلامية المعقدة و اشكلاتها المتعددة، و اصطلاحاتها

[1]ـ محمد البشير الإبراهيمي: سجل جمعية العلماء المسلمين، ص26

المحدثة مما يصعب أمره على الطلبة فضلا عن العامة [1]. لقد زهد المتكلمون في القران الذي عرض أدلة أصول الدين في غاية السهولة و الوضوح بحيث ينتفع بها العالم و الجاهل و الصغير و الكبير، مع شمول خطابها لجميع ملكات الإنسان : عقله و وجدانه و مطالب روحه و جسمه. و قد أفرغت أدلة المتكلمين و تاولاتهم العقيدة من محتواها الإيماني، و من روحها التي تدفع إلى العمل كذلك جعلتها صعبة مستعصية على الفهم.

و قد كانت نتيجة علم العامة بسبب صعوبته و طبيعة منهجه المتعالي الذي تطل أدوات الجدل و الحجاج كما يقول ابن باديس: " ما نراه اليوم في عامة المسلمين من الجهل بعقائد الاسلام و حقائقه" [2]. ثم إن علم الكلام على راي البشير الإبراهيمي لا يفيد اليقين و أن خسارته تربو على ربحه فان قواعده " تتهاوى في المناظرات القولية أو القلمية كفقاقيع الماء فلا يكاد يبني الباني حتى ينبري له هادم ينقض ما بنى و يتبر ما علا".

و البشير الإبراهيمي كذلك يتأسف و يتحر على تلك الجهود المضيعة لتلك العقول الوقادة القرائح الذكية لأبي بكر الباقلاني و فخر الدين الرازي أو الهذيل و غيرهم و التي صرفت بسبب ولوعها بالمباحث الكلامية و استهتارها بالآراء و العقليات و إثارة الشبهات عن استجلاء سنن الله ف الأنفس و الأفاق وضيعت على المسلمين فتوحا عظيمة في العلم. [3] و لو أن علماء الكلام لم يغالوا في تمجيد العقل و لم يقحموه في مجال الغيبيات حيث يعجز عن إدراك الحقائق و يقع في متاهات ، و لو أنهم تمسكوا بهدية القران لفتحوا للفكر الإسلامي في مجال العقيدة بمفهومها الواسع الذي يعبر عن تكامل الحقيقة الإسلامية و شمولها أفاقا واسعة " ففي القران آيات للمتوسمين، و إرشاد للعقل البشري يتدرج مع استعداده و فيه من الكشف عن غرائب النفوس و ألوانها ، و عن حقائق الكون و أسرار مواليده ما يسير بمتدبره رويدا رويدا حتى يضع يده على الحقيقة و يكشف له عن وجهها ، و يكاد يكون من البديهيات فيه ما يقرره في أطوار الأجنة و تزاوج النبات و تكون المطر و تصريف الرياح و كور الليل على النهار و إثبات الصلة بين علويات هذا الكون و سفلياته. [4]

و قد انتهى علم الكلام إلى الانحسار في دائرة الخواص، و طوي الزمن كثيرا من المذاهب الكلامية و الفرق، إلا أن المتأخرين من العلماء الجامدين و من المعلمين لا يزالون يدرسون علم التوحيد– في مثل

[1]- عبد الحميد بن باديس :مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير،مصدر سابق ،ص250
[2]-عمار الطالبي :ابن باديس حياته و آثاره،ج1،ص272
[3]- سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين:مصدر سابق، ص ص26-27
[4]- محمد البشير الإبراهيمي:آثار البشير الإبراهيمي، ج4، ص208

كليات الأزهر و الزيتونة- على تلك الطرائق المنسية و يجترون تلك الآراء الكلامية المنتهية، فيضيعون أعمار الطلبة و يبددون طاقاتهم فيما لا طائل من وراءه[1]. و هم ف غمزة هذا الجمود و هذا التقليد الأعمى غافلون اشد الغفلة عن الواقع المتغير و ما فرزه من تحديات عقدية في مثل شبهات الملاحدة و مبشري المسحيين ، فلا يلتفتون إلى دراساتها و لا كلفون جهد مناقشتها . [2]

و على الرغم من كل هذه الانتقادات التي يوجهها علماء الجمعية لعلم الكلام ، إلا أنهم لا يذهبون إلى تحريم الاشتغال به، و إنما هم يدعون إلى الاجتهاد في تناول قضايا العقيدة و إلى التجديد في صياغتها و إلى إعادة ربط المسلمين أصولها لتستعيد دورها في تفعيل حياة المسلمين و في ذلك يرجو مبارك الميلي لو " تركنا كتب المتكلمين للخاصة يستعينون بها في مواطن الجدال مع الخصوم ووضعنا للعامة كتبا في العقائد على أسلوب الكتاب المجيد ، فيكون من تلك رياضة للعقول و حماة للحق ، و من هذه طهارة للقلوب و هداية للخير. و ليس كل الناس بحاجة إلى تلك الرياضة و لا لهم قدرة على تلك الحماية و لكن كلهم في حاجة إلى تطهير البواطن و معرفة الهدى. [3] فما مدى مساهمة علماء الجمعة في تجديد العقدة و إعادة ربط المسلمين بأصولها؟

2-الرجوع إلى الوحي في فهم العقيدة و الدعوة إليها

تمثل العقيدة الإسلامية حقائق الدين الثابتة التي لا يعترينا تبديل أو تطوير ، و تجديدها إنما يكون بالرجوع إلى القران و السنة في تحملها فهما و تصديقا و انفعالا وجدانيا ثم امتثالا واقعيا لمقتضياتها.

و إن من عهود جمعية العلماء المسلمين الجزائيين مع الله كما يقول الإبراهيمي " أن تنشئ مجتمعا إسلاميا يشارف السلف في عقائده و عباداته و أخلاقه و صلته بمحمد صلى الله عليه و سلم و قربه من الله" [4].

و لقد كان رضوان الصحابة رضي الله عنهم يتلقون العقيدة اصفي ما تكون من آيات التنزيل الحكيم و من توجيه النبي صلى الله عليه و سلم، و كان علماء السلف الصالحون " يحكمون القران في كل شيء حتى في الخطرات العارضة و السرائر الخفية حتى تمكن سلطانه من نفوسهم و أصبحت لا تتحرك و تسكن إلا بأمره و نهيه. [5]

و لقد أدرك علماء الجمعية أن الاتصال المباشر بنصوص الوحي له اثر طيب و فعال على النفوس المؤمنة، فقد جاءت العقيدة فيها بما لا مزيد عله من الوضوح و الإقناع، ليس فيها ما يثير التباسا أو وقع

1-سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين:مصدر سابق، ص25

2- المصدر نفسه،ص25

3- محمد بن مبارك الميلي:رسالة الشرك و مظاهره ،مصدر سابق،ص22

4- محمد البشير الإبراهيمي:آثار البشير الإبراهيمي، ج4، ص123

5-عبد الحميد بن باديس،رواية و تعليق محمد الصالح رمضان :العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية،مكتبة الشركة الوطنية مرزاقة بوداود و شركائها ،الجزائر، ط2، 1966،ص19

في حيره،أو يخالف عقلا سليما و فطرة سوية ، كما هو الشأن مع بعض المذاهب الكلامية و الفلسفات الوضعية فان " القران هو الدستور السماوي الذي لا نقص فيه و لا خلل ، فالعقائد فيه صافية، و العادات خالصة، و الأحكام عادلة، و الآداب قويمة ، و الأخلاق مستقيمة و الروح لا يهضم لها فه حق الجسم لا يضيع له مطلب. فكانت دعوتهم إلى تجديد الدين على أساس واضح من الكتاب و السنة .[1]

---

[1]-محمد البشير الإبراهيمي:آثار البشير الإبراهيمي، ج4، ص78

المطلب الثاني: تراجع المد الطرقي:

يمكن أن نقول أن بداية فقدان الطرق الصوفية لنفوذها قد بدا منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، و استمر إلى ظهور الحركة الإصلاحية و اشتداد نشاط جمعية العلماء . و قد ذكر الأمين العمودي أن علاقة المرابطين بالإدارة الاستعمارية قد أثارت حفيظة المسلمين الجزائريين ولكن لم يكن بإمكانهم الإنكار عليهم و الثورة ضدهم ،بسبب ما لهؤلاء المرابطين من نفوذ قوي متزايد .

وان ما يؤكد هذا النفوذ الطرقي هو أن حملة جمعية العلماء على الطرقيين كانت في فترة حاسمة من حياة الأمة الجزائرية و القوة للطرقيون لا لرجال الإصلاح ،فحوالي 70%من الأمة ملتف حول هذا الاستعمار الروحي ومعه الحول والطول ،فالأموال وفيرة والجاه عريض و الحكومة تقارض تأييد بتأييد ،وذلك العدد العديد من الأمة يسبح بحمده ،ويعتقد أن الطرق الصوفية كلها طريق إلى الجنة ،وان تلك البدع والضلالات هي الدين ،وان كلمة نقد في أولئك المشايخ ولو عصو الله و فعلو المنكرات قد يؤدي بصاحبها إلى الكفر و الخسارة الدنيوية و الآخرة . (1)

و قد ذكر علي مراد جملة منة العوامل الخارجية التي ساهمت في انعزال الطرق الصوفية وانحسار مدها ومنها: (2)

-هجرة أعداد كبيرة من سكان الريف إلى فرنسا و نحو المدن بسبب سوء المعيشة و تدهور الوضع الاجتماعي ،الأمر الذي جعل هؤلاء ينقطعون عن الطرقية وهي من جهتها تفقد زبائنها أكثر فأكثر نفور الشبيبة المثقفة باللغة الفرنسية من معتقدات الطرقية .

-عودة المتعلمين من المشرق ومن الزيتونة وهم يحملون أفكار التجديد والإصلاح التي نادى بها محمد عبدو و رشيد رضا وانخراطهم في الحركة الإصلاحية و مقاومة الطرقية.

ولكن على الرغم من معارضة اللائكيين دعاة العصرنة الذين كونتهم المدرسة الفرنسية،و على الرغم أيضا من معارضة أنصار النهضة العربية الإسلامية .فان إضعاف الطرقية بصورة حقيقية لم يتم إلا في مدة عشرين سنة من المقاومة الثابتة كما يقول علي مراد. (3)

وقد يعتقد البعض أن جمعية العلماء قد صرفت في محاربة مذكرات الطرقية أكثر مما يلزم من الجهد و الوقت ، و إنها ربما تكون قد شغلها عن جوانب أخرى من الإصلاح، و قد فات هؤلاء أن

1- محمد البشير الإبراهيمي:آثار البشير الإبراهيمي،ج4، ص344

2- ali merad,le réfrmisme musulmanen algérie de 1925à1940,essai d’histoire religieuse et social,baris mouton ,la have,1967,bb62-63

3- ibid,b65

الطرقية الجزائرية وقفت بشراسة و بقوة في وجه الحركة الإصلاحية، و إنها كانت يدا مسخرة للاستعمار يقويها و يحميها، فضلا عن أثارها الخطيرة في سائر الأمة .يقول الإبراهيمي: " و قد فات هؤلاء الضانين أن من اللوازم القريبة لتلك المنكرات التي تشتد الجمعية في محاربتها التزهيد في العلم و إفساد الفطر و فشل العزائم و قتل الفضائل النفسية و إزالة الثقة بالنفس من النفس و تضعيف المدارك و تخذير المشاعر [(1)].

و لقد كانت نتائج الصراع لصالح الحركة الإصلاحية ففي سنة 1934م قال الأمين العمودي: " بان تسعة أعشار المسلمين الجزائريين صاروا يعتبرون المرابطين مجموعة من الافاكين و الطفيليين و الخونة للدين".

وفي سنة 1938م أعلن ابن باديس عن تراجع المد الطرقي وانحسارها عن الحياة الدينية والاجتماعية في الجزائر فقال:"كان الناس كأنهم لا يرون الاسلام إلا الطرقية .وقد زاد ضلالهم ما كانوا يرون من المجامدين والمغرورين من المنتسبين للعلم من التمسك بها و التأييد لشيوخها ، فلما ارتفعت دعوة الإصلاح في المنتقد و الشهاب حسب الناس إن تلك الأضاليل التي طال عليها الزمان ، و رسخها الجهل ، و أيدها السلطان محال" [(2)]. و واصل ابن باديس في بيان ضلالات الطرقية التي حاربتها الشهاب حتى صرعتها و فضحت حماتها فقال: " و لقد صمد الشهاب للطرقية يحارب ما أدخلته على القلوب من فساد عقائد و على العقول من باطل أوهام و على الاسلام من زور و تحريف و تشويه، إلى ما صرفت من الأمة عن خالقها لما نصبت من أنصار ، و شتت من إرهاب ، حتى حقت للحق على باطلها الغلب، فهي اليوم معروفة عند أكثر الأمة حقيقتها ، معلومة غايتها، مفضوحة دوافعها.." [(3)] .

و قد تحدث مالك بن نبي عن نجاح الحركة الإصلاحية في عملية تصفية ذلك القسط من الرسب الثقافي السلبي المتمثل في النزعة المرابطية . و قال واصفا ذلك النجاح: لقد خمدت حرارة المرابطين كيفما يسترد الضمير الجزائري مفهوم الواجب، و الجنة التي ضمنها إليه لمريديه لغير ثمن قد أخلت مكانها لمفهوم الجنة التي لا تدرك إلا بعرق الجبين.لقد امسك الإصلاح بكلتا يديه مصير النهضة واضعا في خدمتها مصادر الروح الإسلامية التي أفلتت من غفلتها . [(4)]

لقد وجدت الطرقية نفسها في الأخير محكوما عليها بالانزواء و العزلة فقد تجاوزتها الأحداث المستجدة التي عرفها المجتمع الجزائري ،خصوصا مع ابتعادها عن التفاعل الايجابي مع قضايا الأمة

---

[1]-محمد البشير الإبراهيمي:مصدر سابق، ص70

[2]- عمار الطالبي:مصدر سابق، ص369

[3]- مالك بن نبي ترجمة بسام بركة ،احمد شعيبو :مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ،دار الفكر ،دمشق ،سوريا ،ط1، 1991 ص 73.

[4]- مالك بن نبي:مصدر سابق، ص97

،ولكنها ظلت آلة مسخرة في يد نواحي عديدة اعتادت تسخيرها "إذا دعاها داعي السلطان لبت خاضعة مندفعة ،وإذا دعاها داعي الأمة ولت على أعقابها مدبرة"[1]. وقد دعاها داعي الاستعمار في سنة 1948م،لما ألحت الأمة الجزائرية في المطالبة بحقوقها الدينية و السياسية فلبت له و استجابت رغم أنها لم تعد إلا سلاحا مفلولا أكله الصدأ[2] .

يعبر الإبراهيمي عن يأسه من الطرقيين و من إثابتهم إلى الرشد فيقول بان الحقيقة هي أن هؤلاء القوم ما زالوا حيث تركو سنة 1937 لم تؤثر فيهم أحداث الزمن و لم يتأثر لما حل بالأمة من محن، و لم تخرق آذانهم هذه الأصوات المتعالية و، و لا انتهى إلى إحساسهم شيء من هذه اليقظة المتفشية في الأمة، و لا وصل إليهم اثر من هذا التطور الذي عمر العالم و أنهم مازالوا آلات صماء في يد الاستعمار يصرفها متى شاء و حيث يشاء ، و قد حلت المصائب بهذه الأمة و هؤلاء القوم غارون بنومهم، و امتلأت السجون و المعاقل بالرجال و هم آمنون مطمئنون و جاعت الأمة و ما منهم إلا الطاعم الكاسي [3].

و يجب أن نسجل أن جمعية العلماء ف مقاومتها لمفاسد و ضلالات الطرقيين لم تحارب إلا أعداء الأمة المستغلين للعامة المتعاونين مع الاستعمار ، فقد سعت جاهدة لتخليص الأمة الجزائرية من سلطانها و لم تحارب الزوايا كقواعد للطرق الصوفية، فعلى من انحراف كثير من الزوايا في عهد الجهل و الاستعمار حتى صارت أوكار للضلال و الفساد ، و على الرغم من أن الاستعمار قد شل اغلب حركة الزوايا الصالة التي أبت أن تسير في ركبه إلا أن حقيقة الزوايا في المغرب العربي هي أنها مؤسسات دينية و ثقافية و اجتماعية، لعبت أدوارا هامة و مشرفة في فترات مختلفة من تاريخ المنطقة و نقصد بذلك زوايا العلم و القران و الجهاد

إن هذه الزوايا الصالحة لما تقوم به من وضائف متنوعة تعد أكثر من حاجة في القرى و الأرياف إن وجودها ضرورة اجتماعية حيث تزداد الحاجة إلى نشر العلم و التعاون على العمل و التكافل الاجتماعي ، فهي عبارة عن بنى اجتماعية تستقطب نشاطات الإفراد من اجل دمجهم في كل منظم يعمل فيه الفرد للمجموع و يتكفل المجموع فيه بحاجات الفرد، و هي تعكس بوضوح روح جماعية مستلهمة من الدين و الإخوة الإسلامية و من العلاقات الاجتماعية القبلية شرعيتها و استمراريتها[4].

و ان ابتعاد الجمعية عن الميل إلى هدم الزوايا المنحرفة و الأماكن المتبرك بها كالأضرحة و المزارات و العمل على فضح الشيوخ المنحرفين و كشف الانحرافات الدينية للعامة الجاهلة يدل دلالة واضحة على

[1]- عمار الطالبي:مصدر سابق، ص369

[2]- البصائر:ع1،س2 من الستة الثانية ،الاثنين 2 جمادى الثانية 1367،12افريل 1948م ،ص1.

[3]- البصائر:ع37،س2من السلسلة الثانية،الاثنين 2 جمادى الثانية 1367،12افريل1948،ص1.

[4]- فهمي جدعان:أسس التقدم عند مفكري الاسلام في العال العربي الحديث ،المؤسسة العربية للدراسات و النشر ،بيروت ،ط2 ،1981م ،ص ص 490-491.

خاصية الاعتدال في حركات الإصلاح، فقد كان صراع الجمعية مع الطرقية مقارعة بالحجة و جدالا بالحسنى و لم يكن مواجهة بالأجساد.

يبين الإبراهيمي هذا المنحى في التغيير الإسلامي بالكلمة بدل استعمال الشدة فيقول في معرض الرد على الطرقيين الذين يتهمون رجال الإصلاح بأنهم وهابيون: أئذا وافقنا طائفة من المسلمين بشيء معلوم من الدين بالضرورة و في تغيير المنكرات الفاشية و عندهم ... تنسبوننا إليهم تحقيرا لنا و لهم ... و إن فرقت بيننا و بينهم الاعتبارات فنحن مالكيون برغم أنوفكم و هم حنبليون برغم أنوفكم ، و نحن في الجزائر و هم في الجزيرة و نحن نعمل في طريق إصلاح الأقلام و هم يعملون فيها لإقدام و هم عملون في الأضرحة المعاول و نحن نعمل في بانيها المقاول .[1]

و لا يفوتنا أن نسجل أيضا موقف مشرفا لبعض شيوخ الطرق الصوفية و هو موقف عبد العزيز بن الهاشمي شيخ الطريقة القادرية في وادي سوف، الذي كان و أخوه محمد الصالح ابعد عن المواقف العدائية التي وقفها شيوخ الطرق الأخرى من الجمعية و هما من المتحصلين على شهادة العالمية من جامع الزيتونة. و قد انخرط عبد العزيز بن الهاشمي في المجلس الإداري للجمعية بصفته عالما و شيخا للطرقة القادرية ، و اخذ ينشر حركة علمية واسعة في وادي سوف بما لديه من الاحباس الموقوفة على التعليم ، و قد استثقلت الحكومة هذه الحركة العلمية و طلبت من الشيخ الرخصة فرد بان الزوايا منذ القديم تعلم بغير الرخصة ، و ازدادت الأوضاع سوءا و سيق الشيخ عبد العزيز الهاشمي و من معه من المعلمين إلى السجون [2].

و نلخص إلى القول بان انتشار الفكر الإصلاحي و تغير الحياة الاجتماعية في الجزائر قد حكم على الطرقية بالتراجع و الانزواء ، فقد تغرت الشروط النفسية و الاجتماعية التي كانت تعمل على فاعلية الفكر الصوفي هذا الفكر الذي صار ميتا ، استودعه المجتمع إحدى مقابره على حد تعبير مالك بن نبي لكن دورة التاريخ قد تعمل مرة أخرى على بعث الفكر ألطرقي من الفضول، إذا تراجع إشعاع الفكر الإصلاحي و ساءت ظروف المجتمع وحين إذن سيستعيد المرابطون الطرقيون مهمة تحذير الشعوب وإلهائها عن واجباتها و حقوقها.

---

[1]-محمد البشير الإبراهيمي:آثار البشير الإبراهيمي، ج1، ص 53.
[2]- عبد الحميد بن باديس :مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير،مصدر سابق ،ص250

المطلب الثالث:إحياء الوظيفة الاجتماعية للعلماء

لا شك أن أعظم حسنة للحركة الإصلاحية في الجزائر ، بالإضافة إلى أياديها البيضاء على الأمة الجزائرية ، هي كونها أحيت الوظيفة الاجتماعية للعلماء تجاه شعوبهم، وظيفة الدعوة إلى الله و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، تلك الوظيفة اللازمة التي اقتضتها وراثة النبوة و هي وراثة علم و دعوة و صبر و جهاد ، فالعلماء هم المسؤولون عن البيان و التذكير و عن الإصلاح و التغيير الإسلامي و عليهم تقع تبعات ما يصيب المجتمعات من تخلف و انحطاط .

يقول الإبراهيمي: " و إن ذلك في صميم هو ما تقوم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في دعوتها و عملها الإصلاحيين ، و إنها لا تفتا جاهدة في الإصلاح الديني حتى تؤدي أمانة الله منه ، و تبلغ الغاية من إقراره في النفوس و تمكينه في الأفئدة... و قد رجع للقران بعض نفوذه و سلطانه ، و حجته وبرهانه، و للسنة النبوية قوتها و مكانها علما و عملا، و للعلماء المصلحين قوتهم في التوجيه و مكانتهم في التدبير ، و قدرتهم على القيادة[1].

و انه لمن دلائل قوة هؤلاء العلماء، أنهم استطاعوا أن يجمع شملهم، و يشكلوا هيئة علمية رسمية كانت ثابتة الأركان ،واضحة الأهداف و الوسائل ويقف وسط التحديات المختلفة ويتحرك في الواقع بالتغيير و الإصلاح و الهدم و البناء و يحقق من الإصلاح في المجال الديني و الاجتماعي ما لم تحققه دعوات الإصلاح في المشرق .يقول ابن باديس:"جاءت الدعوة الإصلاحية و مصر والعالم الإسلامي على تلك الحالة فاصطدمت بقوة ما كانت تثبت لها لولا قوة الحق و الإيمان ،ومضى ثلث قرن أو يزيد و الدعوة الإصلاحية تنتشر و تتقدم وتنقض البدع و الضلالات من أطرافها "[2]. ويضيف مؤكدا على خصوصية الحركة الإصلاحية الجزائرية :"ولكنه لم تقم في امة إسلامية هيأة علمية منضمة تعلن الدعوة إعلانا عاما ،وتصمد للمقاومة غير مبالية بما يؤيد البدع و الضلالات من سلطان ديني و سلطان دنيوي غير الأمة الجزائرية فكان من علمائها الأحرار المستقلين ، الذين لا يعيشون على الو ضيف ،أولئك الذين نهضوا بالدعوة الإصلاحية منذ بضع عشرة سنة ،و جاهدوا فيها لله و صابروا وأسسوا لها اعضم مؤسسة دينية–جمعية العلماء المسلمين الجزائريين–.[3]

ويقول الإبراهيمي في وصف تالف علماء الجمعية وانسجامهم بان الشيطان لم يجد منفذا يدخل منه إلى إخوتهم فيفسدها ،أو إلى علائقهم فيفسدها ،أو إلى محبتهم لبعضهم فينفث فيها الدخل ولقد كانوا

[1]- البصائر :ع36،س2، من السلسلة الثانية ،الاثنين 08رجب 1367هـ،17ماي1948م ،ص2.
[2]- عمار الطالبي :ابن باديس حياته و آثاره،ج3 ،ص67.
[3]- عمار الطالبي :ابن باديس حياته و آثاره، المصدر السابق،ص67.

مشتركين في أعمال عظيمة ،معرّضين لعواقب وخيمة ،ومن شان ما يكون كذلك أن تختلف فيه وجوه الرأي و تتشعب مسالكه خصوصا إذا اشتجرت الآراء في مزلقة من مزالق الاستعمار التي يرسدها لهم ،لكنهم ما كانوا يجتمعون في المواقف الخطيرة إلا كنفس واحدة وما كانوا يفترقون إن اختلف الرأي إلا كنفس واحدة. [1]

إن بقاء هذه الوحدة مع خطورة الوضع واختلاف الرأي يدل على تماسك البناء الفكري و البشري للجمعية ،هذا البناء الذي يقوم أساسا على عقيدة واضحة ومنهج واضح وغاية واضحة وهو ما يوضحه البشير الإبراهيمي عندما يقول :"إن لهذه الحالة فينا علة و ثمرة ،أما العلة فهي أن اجتماعنا كان لله ولنصر دين الله ولتادية حق الله في عباده دأبنا في ذلك التعاون على الخير ،والاستباق إلى الخير ،فلا مجال للمنافسة و حظ النفس .وأما الثمرة فهي هذا النجاح الباهر الذي نلقاه في كل أعمالنا للأمة في تطهير العقول ،وفي تصحيح العقائد ،وفي استجابة داعي القرآن ،وفي تمكين سلطان السنة وفي صدق التوجه للعلم." [2]

إن نجاح الجمعية يرجع أيضا إلى أنها اختارت الحركة على خط الدعوة و المجتمع وهي حركة نحو العمق و الشمول و الرسوخ،بخلاف الحركة نحو السلطة على حساب المجتمع و الدعوة فإنها حركة أفاقية آنية لا مستقبل لها[3]. يثبت ذلك تنوع قنوات الاتصال بالجماهير عند الجمعية و فعاليتها فهي لم تكتفي بإحياء وظيفة المسجد وإنشاء المدارس،و إنما استخدمت الصحافة وأسست النوادي وكونت جمعيات مختلفة وأوجدت شعبا للجمعية في مختلف جهات القطر وتكيّف مع خصوصية البيئة و تحديات المرحلة و متطلبات الدعوة .

وفي التأكيد على ضرورة قيام علماء الأمة الإسلامية في جميع الأقطار بواجبهم لتنهض الأمة من تخلفها و تواصل رسالتها كشاهدة على الناس ،يلح الإبراهيمي على أهمية الجوع إلى الأصول ليتحقق الإصلاح و يضيق الخلاف فيقول:"وكم وددنا لإخواننا علماء الأقطار الإسلامية ،لو قاموا بمثل ما قمنا به من تطهير عقائد المسلمين ،وتوجيههم التوجيه الصحيح النافع في الدين والحياة والرجوع بهم في صراحة وجرأة إلى كتاب ربهم و سنة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وانتقاضهم بذالك من عصبيات المذاهب و الطرق التي فرقت شملهم ،ومصائب التفرق و الخلاف التي أذهبت ريحهم ." [4]

1- البصائر:ع44،س2،من السلسلة الثانية ،الاثنين20رجب 1367هـ ،26جويلية1948م،ص3.
2-المصدر نفسه،ص3.
3-الطيب برغوث:التغيير الإسلامي، خصائصه و ضوابطه، مكتبة رحاب الجزائر، ص17.
4- البصائر:ع36،س2،من السنة الثانية،الاثنين8رجب1367هـ،17ماي1948م،ص2.

ولكن الذي يجب أن نشير إليه هو أن عمل الجمعية لا يخلو من عيوب فقد سجل عليها مالك بن نبي أنها كانت تركن أحيانا إلى التفكير الغير المنهجي وان العلماء كانوا يشعرون بمركب النقص إزاء قادة السياسة في ذلك العهد ،فتركت حكمتهم مكانها للانتهازية السياسية ،ورجعت أوراق الحروز التي نبذها الشعب باسم أوراق الانتخابات[1] ،والعقول التي كانت تصدق بالمعجزات الكاذبة صارت تصدق مرة أخرى بمعجزة صناديق الانتخابات ،هذا بالإضافة إلى عيوب أخرى تميز ثقافة ما بعد الموحدين تتمثل فيما "اتصف به الإنسان ما بعد الموحدين من ذرية واتزمت ونزوع إلى المديح لم تستطع التخلص منه عقول المصلحين إلى جانب هذا كله تقف عيوب ذات طابع جماعي كالجذل و التشبث بأذيال الماضي و التحليق في الخيال ." [2]

و يذهب مالك بن نبي إلى القول بان الإصلاح الجزائري وان كان قد نجح في تصفية راسبنا الثقافي من النزعة الطرقية فانه لم يكن بالإجمال سوى مجادلة ضد المرابطية و الاستعمار[3] .و الحقيقة أن هذا الحكم يعبر عن أصالة الحركة الإصلاحية الجزائرية ،فظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،فظهور الجمعية كان استجابة موفقة لحاجات في المجتمع الجزائري المسلم وتحديا سارخا للوجود الاستعماري ،ولذلك تميزت الحركة بفلسفتها في الإصلاح ومنهجها في العمل "فان فلسفة التغيير عند ابن باديس قد تتجاوز فلسفة الإصلاحيين ،ووجوده قد تتعدى – نوعيا– الجهود الإصلاحية التي قام بها كل من "عبده و الأفغاني" فهي ذات طابع تخطيطي و عملي ،وهي اقرب إلى جهود "الإخوة المسلمين "منها إلى جهود المصلحين المذكرين "[4].

و يمكن أن نتبين أن صراع الحركة الإصلاحية مع الطرقية و الاستعمار هو من الايجابيات التي تدل على رشاد هذه الحركة فقد نبه حسن الترابي إلى حقيقة قرآنية مهمة فقال :"أنضروا إلى الأنبياء فقد كانوا جميعا يدعون إلى عبادة الله وحده وتكاد العبارات التي يريدها القرآن عن دعوتهم تتحد .
أن اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا – وكل نبي وجد قضية معينة سائدة في زمانه فدعى الناس إلى عبادة الله من خلال تلك القضية " [5].

وبعد أن شرح حسن الترابي كيف دعا إبراهيم عليه السلام إلى التوحيد وعالج الشرك الذي كان سائدا في قومه وهو عبادة مظاهر الطبيعة و كيف عالج موسى عليه السلام الشرك السياسي الذي يمثله فرعون

1- مالك بن نبي ترجمة عبد الصابور شاهين :شروط النهضة،دار الفكر،الجزائر،ص ص 26-29
2- مالك بن نبي:وجهة العالم الإسلامي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط4، 1984م، ص50.
3- مالك بن نبي :القضايا الكبرى ،دار الفكر،الجزائر،دار الفكر،دمشق،ط1،1991م،ص73 .
4- علي القرشي :التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي ،منضور تربوي لقضايا التغيير في المجتمع المسلم المعاصر ،الزهراء للإعلام العربي ،ط1،1989م،ص73.
5- حسن الترابي :تجديد الفكر الإسلامي،دار البعث،قسنطينة،الجزائر ،ط1،ص11

و الشرك الاقتصادي الذي يمثله قارون .قال :"وهكذا كل نبي عرف التوحيد من خلال التحديات و المشاكل القائمة في عصر معين "[1].ونقول نحن أيضا هكذا قامت الحركة الإصلاحية الجزائرية بالدعوى إلى إحياء الدين وتجديده من خلال مواجهة تحدي الطرقية والاستعمار .

ونلخص إلى القول بان ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كان ضرورة اقتضتها ظروف الجزائر المستعمرة وأنها قد نجحت في تحقيق الكثير من أهدافها يمكن أن نذكر منها :تجديد عقيدة الجزائريين والارتقاء بمستوى تدينهم إلى ما يقارب الأصول ،و ينفي خبث الابتداع و الانحراف ،ويقضي على نفوذ المرابطين و الطرق الصوفية ،و يهيئ النفوس بالعلم و التربية الصحيحة للتحرر من أشكال الاستبداد و الاستعمار و يبقى على الأجيال المسلمة التي تحمل مشعل حركة الإصلاح المعاصر،أن تستجيب هي الأخرى للتحديات الواقعة و المختلفة بصورة ايجابية.

[1]- حسن الترابي ،المرجع نفسه،ص12.

خاتمـــــــــــــــــــــــــــــة

وبعد هذه الدراسة التي حاولنا من خلالها التعرف على جهود الجمعية في مقاومة الانحرافات الطرقية يمكن أن نلخص أهم النتائج المتوصل إليها:

لقد وجدنا الفلسفة الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في غاية الوضوح و الإشراق و القوة و الاعتدال ،سلفية مجددة ،عقلانية واقعية ،تجمع بين الأصالة و المعاصرة وبين الإتباع و الاجتهاد.و لاحظنا أن ما ميز نجاح الجمعية في جهودها الإصلاحية، هو أنها اختارت الحركة على خط الدعوة و المجتمع وهي حركة نحو العمق و الشمول والرسوخ.....الخ

إن صراع الجمعية مع الطرقية المنحرفة كان بسبب آثارها الخطيرة في سائر الأمة كالتزهيد في العلم ،وإفساد الفطرة ،وشل العزائم ،و قتل الفضائل النفسية وتضعيف المدارك ،و تخذير المشاعر ، إلى غير ذلك من الرذائل .وبسبب وقوف الطرقية معرقلا في وجه الحركة الإصلاحية ونهضة الأمة ،وبسبب أنها كانت يد مسخرة للاستعمار يقويها و يحميها .

فالصلاح كما يرى ابن باديس هو إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله بإزالة ما طرأ عليه من تغير و فساد ،هكذا كان ابن باديس و الجمعية تقيس معالم الأمور التي كان من بينها كما قلنا التصوف و الطرق الصوفية ،ولهذا نقول أن الجمعية قامت على تلك الطرق الصوفية المستعملة متطرف الاستعمار الفرنسي و التي كانت تساهم في تخذير المجتمع و تزييف وعيه و طيه عن النهوض من حالة ركوده التي أصابته .

أن جمعية العلماء المسلمين عملت جاهدة من اجل الحد من الانحرافات الطرقية ومحاربتها ،تلك الانحرافات التي اعتبرتها الجمعية بدعة لا وجود لها لا في الدين الإسلامي و لا في عاداتنا المنبثقة من الدين الإسلامي .

لكن هذا لا يعني أن الجمعية كانت في صراع مع كامل الطرق بل كانت كذلك في صف واحد مع أولئك الذين فهموا الاسلام فهما صحيحا و تفاعلوا معه بعمق و جاهدوا في سبيله بصدق و حرصوا كل الحرص أن يمثلوه خير تمثيل .

كذلك أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لم تكن لتحارب الزوايا ،بل أنها كانت تشجع الزوايا التي تعلم الطلبة القرآن وحب الوطن وخير مثال على ذلك ان الشيخ ابن باديس قام بعدة زيارات لعدة زوايا في الجزائر ،وقد كانت زاوية طولقة الرحمانية من أوائل الزوايا التي زارها الشيخ ،وهي مقر للزوايا الرحمانية ،بمعنى انه كانت علاقة أخوة بين الجمعية و الزاوية الرحمانية ،كما أن ابن باديس لم يكن يخفي عليه شرف بعض الطرق و فضلها على الجزائر كالطريقة القادرية التي اخرجت لنا أول مؤسس للدولة الجزائرية الحديثة ،و الطريقة الرحمانية التي أذلت الاستعمار بقيادة شيخها الحداد رحمه الله .

ومن هذا فان جمعية العلماء المسلمين كان صراعها مع الطرق المنحرفة عن تعاليم الدين الإسلامي ، وعملت جاهدة على محاربة تلك الانحرافات ،أما الطرق التي بقيت على الطريق الصحيح السوي فعلاقتها بالجمعية ظلت علاقة أخوية.



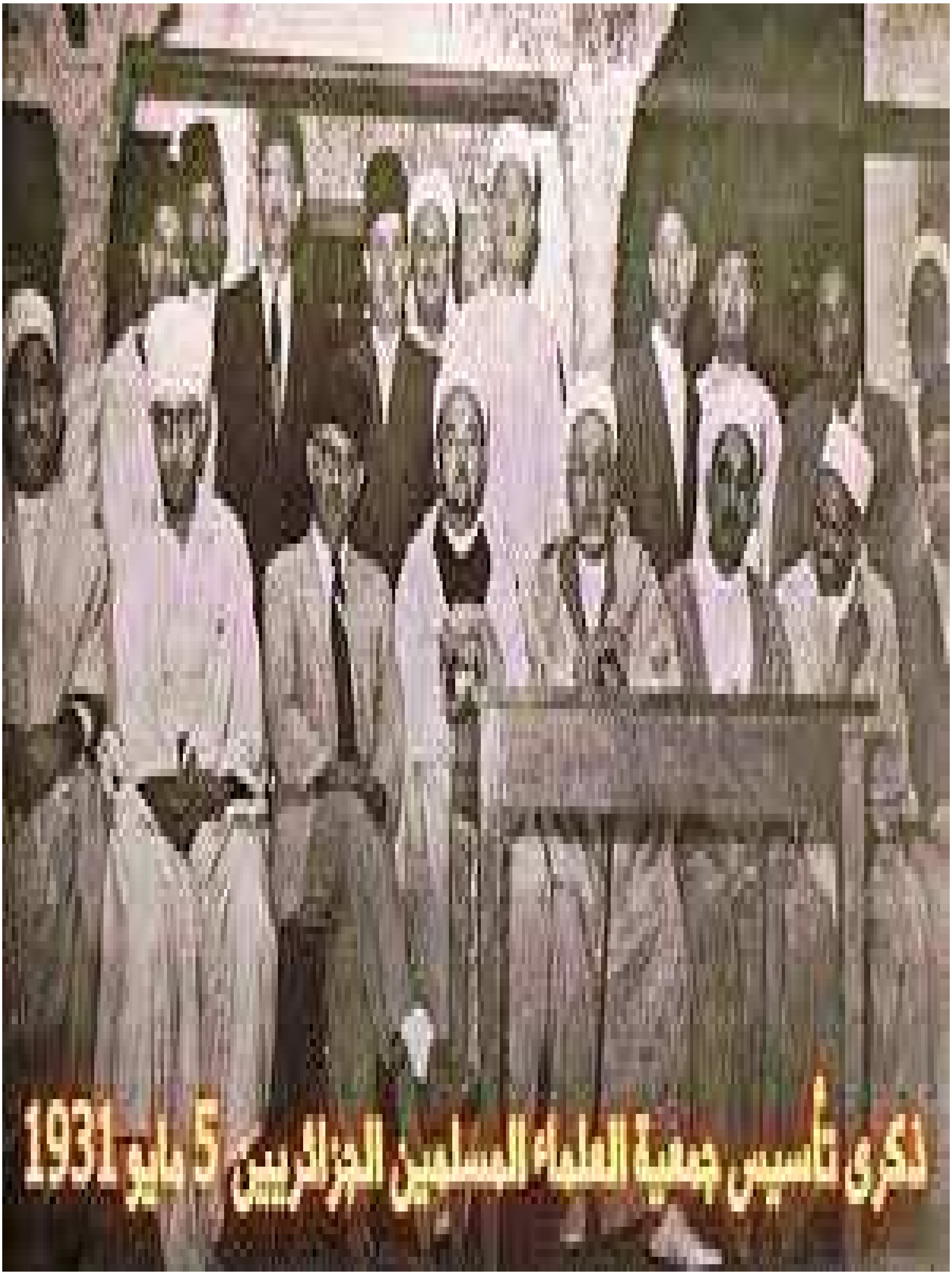
أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الملحق الأول



عبد الحميد بن باديس مع علماء الجمعية

الملحق الثاني



الملحق الثالث



الملحق الرابع



زاوية سيدي علي بن عمر الرحمانية طولقة

الملحق الخامس

الملحق السادس



زيارة الأولياء الصالحين

الملحق السادس



زاوية سيدي سالم الرحمانية وادي سوف

الملحق السابع

قائمـــة المصـــادر والمراجـــع:

قائمة المصادر:

1- الإبراهيمي محمد البشير: آثار البشير الإبراهيمي ،ج1،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978 .

2- الإبراهيمي محمد البشير :آثار البشير الإبراهيمي ،ج4،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ،1978 .

3- الإبراهيمي محمد البشير: آثار البشير الإبراهيمي 1954-1956 ،جمع وتقديم نجله احمد طالب الإبراهيمي ،ج4 ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان ،1997.

4- الإبراهيمي محمد البشير:في قلب المعركة 1954-1964، ط1، شركة دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 1994.

5- الإبراهيمي محمد البشير:عيون البصائر، دائرة المعارف، القاهرة، 1963.

6- العجيلي التليلي: الطرق الصوفية و الاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية 1881، 1939 مجلد2، منشورات كلية الآداب ، منوية، 1992.

7- الورثلاني الحسين بن محمد: نزهة الأنضار في فضل علم التاريخ و ألاختيار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،1974.

8- بن الرحال الزبير :الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية و الفكرية، دار الهدى ،عين مليلة ،الجزائر ،2009.

9- بن نبي مالك : ترجمة عبد الطيور شاهين، شروط النهضة، دار الفكر الجزائر.

10- بن نبي مالك: ترجمة بسام بركة أحمد شعيو، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ،ط1، دار الفكر ، دمشق، سوريا، 1991.

11- بن نبي مالك: وجهة العالم الإسلامي، ط4، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1984.

12- بوعزيز يحيى :ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرون ، ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ،الجزائر ،ج1،1996.

13- بوعزيز يحيى :ثورة 1871 دور عائلتي المقراني و الحداد،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر.

14- بوعزيز يحيى :مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1999.

15- تركي رابح:التعليم القومي و الشخصية الوطنية، 1931، 1975، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1975.

16- تركي رابح :الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته و جهوده في التربية و التعليم (1900-1940) ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ،1969.

17- تركي رابح: الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر الحديثة ،ط1 ،دار العلوم للطباعة و النشر ،1983.

18- تركي رابح :الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي و التربية في الجزائر ،ط5،منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الإشهار ،2001.

19- جدعان فهمي: أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العلم العربي الحديث، ط2، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، 1981.

20- زرمان محمد: معالم الفكر السياسي و الاجتماعي عند الشيخ البشير الإبراهيمي، منشورات جامعة باتنة، الجزائر.
21- سعد الله أبو القاسم :الحركة الوطنية الجزائرية ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،ج1، 1992.
22- سعد الله أبو القاسم :تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954 ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان ،ج1 ،1998 .
23- سعد الله أبو القاسم :تاريخ الجزائر الثقافي مرحلة الثورة 1954-1962 ، ط1، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان،2007 .
24- مراد علي: الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من 1925-1945، ترجمة محمد يحياتي، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، دار الحكمة الجزائر.
25- مطبوعات وزارة الشؤون الدينية: آثار عبد الحميد بن باديس ، ط1، دار البعث للطباعة و النشر، قسنطينة، الجزائر، ج5.
26- ملتقيات الفكر الإسلامي: محاضرات و دراسات عن الحياة الروحية في الإسلام، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، ج1، دسيمبر 2005.
27- ابن باديس عبد الحميد رواية وتعليق محمد الصالح رمضان :القائد الإسلامي من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ،ط2،مكتبة الشركة الوطنية مرزاقة بوداود و شركائها ،الجزائر ،1966.
28- جوليان شارل أندري :تاريخ الجزائر المعاصرة ،ط1،دار الأمة ،الجزائر ،2008،
29- سعد الله أبو القاسم :تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954 ،دار الغرب الإسلامي، بيروت ،لبنان ،ج4 ،1998 .

30- سعد الله أبو القاسم:أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ،ط1،دار الغرب الإسلامي ،ج3، 1990 .

المراجع :

1-إبراهيم أنيس و آخرون : المعجم الوسيط مجتمع اللغة العربية مطابع دار المعارف ، مصر، ج1.

2-ألفوطي عمر بن سعد ، على هامش جواهر المعاني و بلوغ الأماني في قبض سيدي أبي التجاني العباس: رماح حزب الرحيم على نحو حزب الرجيم، دار الجيل، بيروت، ج 2، 1988.

3-برغوث الطيب، التغيير الإسلامي، خصائصه و ضوابطه، مكتب رحاب الجزائر.

4-بونابي الطاهر: التصوف في الجزائر خلال القرن 6-7 ه و 12-13م ، دار الهدى للطباعة و النش، عين مليلة، الجزائر، 2004.

5-الترابي حسن: تجديد الفكر الإسلامي ، ط1، دار البحث قسنطينة، الجزائر.

6-التغيير في المجتمع المسلم المعاصر ، ط1، الزهراء للإعلام العربي، 1939

7-الجابري محمد عابد: تكوين العقل العربي، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت ط 1، 1984.

8-حسن احمد أمين: دليل المسلم الحزين الى مقتضى السلوك في القرن العشرين، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الرغاية ، الجزائر 1990.

9-الحنبلي ابن رجب إعداد معروف زريق: جامع العلوم و الحكم، دار الجيل ، بيروت .

10- الخطيب احمد: ج ع م ج و أثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

11- دبوز محمد علي :أعلام الإصلاح في الجزائر من 1931-1975 ،ط1،مطبعة البعث ، قسنطينة ،الجزائر ،ج3، 1975.

12- دسوقة ناهد إبراهيم: دراسات في التاريخ الجزائري الحديث و المعاصر الحركة الوطنية (1918- 1939) مطبعة سامة، الإسكندرية، مصر، 2001.
13- شيبان عبد الرحمان :آثار الإمام عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين ،ط1،مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ،دار البعث ،قسنطينة ،ج4 1985.
14- الصديق محمد الصالح :المصلح المجدد الإمام ابن باديس لهذا حاولوا اغتياله، ديوان المطبوعات الجامعية ،بن عكنون ،الجزائر ،2009،ص117
15- الطرطوشي أبو بكر محمد ابن الوليد ، ضبط و تعليق علي بن حسن: كتاب الحوادث و البدع ،دار ابن الجوزي للنشر و التوزيع ، السعودية، ط 2، ص 108.
16- طهاري محمد :الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر ،ط1 ،دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع ،الجزائر ،2010.
17- عباس فرحات: حرب الجزائر و ثورتها(ليل الاستعمار)، ترجمة أبو بكر رحال، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب.
18- عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون: الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرات معاصر الفترة الاولى1920-1936، ج 1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
19- العقاد صلاح: المغرب العربي (دراسة في تاريخه الحديث و أوضاعه المعاصرة) الجزائر، تونس ، المغرب الأقصى، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة.
20- عميراوي أحميدة: رسالة الطريقة القادرية في الجزائر ، دار الهدى للطباعة و النشر، عين مليلة ، الجزائر.
21- فضلاء محمد الطاهر: الإمام الرائد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، نشر و توزيع مكتبة و مطبعة البحث، قسنطينة، الجزائر، 1967.

22- فضلاء محمد الطاهر : دعائم النهضة الوطنية الجزائرية ، التعليم الديني الإصلاح الديني، جمعية العلماء ، ط1، دار البحث، قسنطينة، الجزائر، 1984.

23- فضيل عبد القادر ، رمضان محمد الصالح:إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس،دار الأمة للطباعة و النشر و الترجمة ،الجزائر،1998.

24- الفكون عبد الكريم ، تقديم و تحقيق و تعليق أبو القاسم سعد الله: منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم و الولاية ، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1987.

25- القريشي علي: التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي منضور تربوي لقضايا التغيير في المجتمع المسلم المعاصر ،الزهراء للإعلام العربي ،1989م.

26- قليل عمار: ملحمة الجزائر الجديدة، ، ط 1، دار البحث قسنطينة، الجزائر ، 1999 .

27- المبارك مجد الدين ابن محمد الجزري ابن الأثير تحقيق ظاهر احمد الزاوي، محمود محمد الطناحي: النهاية في غريب الحديث و الأثر ، دار الفكر للطباعة و النشر ، بيروت، لبنان.

28- مذكور إبراهيم: في الفلسفة الإسلامية منهج و تطبيقه، مكتبة الدراسات الفلسفية، ط 2، منقحة.

29- مطبقاني مازن صلاح : عبد الحميد بن باديس العالم الرباني و الزعيم السياسي ط2، دار العلم، دمشق، 1999.

الرسائل الجامعية:

1-بوالصفصاف عبد الكريم :جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و علاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (1931-1954)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر ،إشراف الأستاذ توفيق برو ،منشورات المتحف الوطني للمجاهد ،1983.

2-بو الصفصاف عبد الكريم :جمعية العلماء المسلمين و دورها في تطوير الحركة الوطنية الجزائرية (1931-1945) ،رسالة لنيل الدراسات المعمقة ،ط1،دار البعث للطباعة و النشر ،1981.

المجلات:

1-البصائر: العدد 37، س2 من السلسلة الثانية ، الإثنين 2 جمادى الثانية 1367، 12 أفريل 1948.

2-البصائر: العدد، 36، س2 من السلسلة الثانية الإثنين 08 رجب 1367ه، 17 ماي 1948م.

3-البصائر: العدد1، السنة 2، من السلسلة الثانية ، الإثنين 2 جمادى الثانية 1367، 12 ألفريل 1948.

4-البصائر: العدد44، س2 من السلسلة الثانية، الإثنين 20 رجب 1367ه، 26 جويلية 1948.

5-مجلة الشهاب، عدد 78، الصادر رجب 1345، جانفي 1927.

المصادر باللغة الأجنبية:

1- Ali Merad : le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940, mouton et Co Imprimerie Firmin-didot.-paris, 1967.
2-Ali Merad : le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940, les éditions, EL-hikma, ALGER 1999.
3-Ali merad, le réformisme musulman Algérie de 1925à1940, essai d'histoire religieuse. Social, Paris mouton ,la have,1967
4-Marabouts et khoins. Etude sur l'islam en Algérie, louis ring.

الفهـــــــــرس